

تقديم

كتبت هذه المسرحية في نسختين، الأولى بالعامية المصرية والثانية بالفصحى، وها أنا أضع النسختين معًا بين يدي القارىء، بملاحظة أن النسخة الفصحى هي التي فازت بجائزة نبيل طعمة في سوريا عام 2011 وشغلت المركز الثاني. هي المرة الأولى التي أكتب فيها للمسرح، وإن كان المسرح قد لازم خيالي منذ سنوات الصبا. وقد كتبت هذه المسرحية بداية بالعامية، لم أشعر، بل لم أفكر في كتابتها بالفصحى أصلاً. ومع ذلك فإن لي نظرة خاصة لموضوع اللغة، قادتني على امتداد سنوات كتابة القصة القصيرة إل ى الاعتماد على الفصحى أساسًا. لماذا؟ هذا موضوع يطول شرحه، وأكتفى هنا بالقول بأن اللغة في نهاية الأمر أداة لتوصيل فكرة أو رسالة، ومن المفيد كلما أمكن أن يتسع نطاق قراء تلك الرسالة. والفصحى لغة يقرأها الملايين، بينما تقف العامية أحيانًا كثيرة حجر عثرة في طريق قراء العربية. كما أنني أحيانًا أجد كلمات لم يعد لها معنى أو لم تعد مفهومة حين أقرأ بعضًا من إنجازات شاعر العامية العظيم بيرم التونسي، أما في الفصحي فإنك حتى لو لم تفهم الكلمة فإن بوسعك الرجوع إل ى المعاجم للوقوف على معناها وأصلها، أما الأغنيات فتركتها في الحالتين بالعامية، فلم يكن من الممكن أن أشعر بها بغير ذلك. إلا أن العامية تظل لغة العرض المسرحي في مصر، ولهذا وجدتني أكتب هذا النص بالعامية مرة، وبالفصحي مرة أخرى، وتجمع بينهما هذه النسخة التي بين

يدي القارئ الآن،   وأهمية نشر النص المكتوب بالعامية هنا قابليته للعرض المسرحي في مصر، لهذا أضعه هنا في المقدمة.

د. أحمد الخميسي

مارس 2011

الجبل

مسرحية من فصل واحد

تأليف :

د. أحمد الخميسي

الجبل

المكان:

- شقة يوسف شكري المؤلف في القاهرة
- بلدة صغيرة متواضعة في الصعيد اسمها دنفيق الحاجر في أعلى الجبل غرب النيل بالصعيد لا يصلها الماء النقي. يعيش أهلها على مياه الآبار الفاسدة. لكن بوسعهم إذا تمكنوا من شق نفق في الجبل بامتداد عشرة كيلومترات أن يفتحوا لماء النيل مجرى إلى القرية.

الزمان:

هذا العام..

الشخصيات:

- المؤلف (1) يوسف شكري مؤلف في نحو الأربعين، أصلع، يرتدى نظارة، شعره غزير منفوش عند جانبي رأسه.. بدين إل ى حد ما، يدخن بشراهة، يطرقع أصابع يديه، يقرض أظافرهما، إلخ..

- المؤلف (2) – وهمي، مجرد بدن.
- فوزي ماجد شاب في الثالثة والثلاثين من مواليد بعد عام 1967
- أصدقاء فوزي:

1- خالد.. موظف في نحو الخامسة والخمسين صديق فوزي

2- مؤنس محب مدرس تاريخ صديق فوزي

3- سعيد أنور صحفي من القاهرة في زيارة لبلدته دنفيق الحاجر صديق فوزي

4- على شفيق بمركز بريد القرية صديق فوزي

5- شريفة مدرسة شابة جميلة في السادسة والعشرين تعمل في مدرسة المركز الذي تتبعه القرية

6- الجارحي عم شريفة وابنه حلمي

7- سعدية فتاة ريفية تعمل في بيت الجارحي

8- فلاحون منهم عم عبد الحكم، والمصيلحي، وخليفة، وآخرون، وشخصيات ثانوية أخرى: صامتة ومتكلمة.

- ميكرفون معلق على جدار تأتي عبره أصوات الزوجة والدائنين وغيرهم

***

- افتتاحية موسيقية خفيفة

- في ثلث يسار المسرح إلى الأسفل قليلاً تقع غرفة المؤلف يوسف شكري. وسط المسرح ويمينًا مكان شاغر لخيال المؤلف وشخصياته. ستدور المسرحية كحوار بين بقعتي ضوء: الأولى في الأسفل حيث غرفة المؤلف، والثانية في مستوى أعلى حيث نرى خيال المؤلف وشخصياته. كل المشاهد التي يكتبها المؤلف يمكن أن نراها مجسدة ممثلة أمامنا في المستوى الأعلى الشاغر، أو أن نكتفي بسماعها بصوت المؤلف، أو البدء بصوته ثم الانتقال لتلك المشاهد مجسدة في الأماكن الشاغرة من المنصة .

- يتبين لنا من غرفة المؤلف يوسف شكري أجزاء أو ملامح تحت بقعة ضوء منداحة:

- مكتب المؤلف الذي يجلس وسط الغرفة بشكل جانبي، وجهه بروفيل للمتفرج

- شباك زجاجي لا يبين كاملاً على الجدار المواجه للمتفرج عاليًا على يسار المؤلف مثبت بالقرب منه ميكرفون من النوع القديم شكل البوق

- مكتبة تلوح مقدمتها بزاوية وراء المؤلف مليئة بالكتب وصور كتاب مثل الحكيم ونعمان عاشور وقادة مثل سعد زغلول وعبد الناصر وأحمد عرابي.

- أريكة للنوم وغطاء ووسادة وراء المؤلف تمامًا تمتد قرب المكتبة

- المشهد محصور تحت بقعة ضوء ضعيف من مصباح من النوع المدلى الذي يعلو ويهبط فوق مكتب المؤلف بحبل، ثلث ا المنصة الواقع ان يمين المتفرج مظلم ان.

- تبدأ المسرحية بالمؤلف يفتح الستار كأنه ستارة نافذة، ويمسك بمنفضة وينفض التراب المفترض أنه على زجاج النافذة المطلة على الجمهور، ثم يمسك ببقية جريدة ويبصق في الهواء على الزجاج ويلمعه فنسمع صوت تزييق من تلميع الزجاج. يتطلع المؤلف من النافذة الوهمية، ثم يجلس إل ى المكتب الصغير، أمامه أوراق يكتب في صمت. الكرسي الجالس عليه يصدر صوتًا كأنه ينهار، ينهض، ويثبت أحد أقدام الكرسي بمدق ومسمارين، ثم يعاود الجلوس والكتابة. إذا كانت هناك موسيقى فستعزف - بعد جلوسه للمرة الأخيرة - بهدوء النغمة الرئيسية المميزة للعمل كافتتاحية خفيفة تصل بصوت ضعيف..

يوسف: (يرفع رأسه متنهدًا ناظرًا إل ى الورق وبصوت احتفالي ونبرة ممطوطة) جـ دار.. الخـ.. ط.. ر! الحلـ.. قـ.. ة السـ.. ا.. بعـة! المشهد المائة وستون ليل خارجي كهف العصابة في صحراء العريش. يدخل المعلم عوضين: مساء الفل يا رجاله. البضاعة في السكة على الجمال. عزوز وقدورة ح يقابلوا البدو ويحملوا البضاعة على العربيات. ودي عجمية الخاينة. كانت عاوزة تبلغ البوليس. آهي. وروها جزاء اللي يخون المعلم عوضين..

صوت الزوجة من الميكرفون: خلصت المسلسل يا يوسف؟

يوسف: (منهمكًا حتى أنه لم يسمع) . عجمية: مهما تعمل فيَّ برضه بحبك يا معلم.

عوضين: أنا لو صباعي عسكري أقطعه ولا إيه يا رجاله؟.

الرجال يزومون كالوحوش: طبعًا يا سيد المعلمين.

الوحوش يتلقفون عجمية ويقيدون يديها من الخلف ويدفعون بها إل ى ركن من الكهف. تغني وحدها "مظلومة معاك يا عوضين.. حبيتك يا أبو رمش وعين.."

(يوسف يرفع رأسه يسأل نفسه باستغراب) إيه معناها حبيتك يا أبو رمش وعين؟ فيه حد مالوش رمش وعين؟.. (يحني رأسه يواصل الكتابة قائلاً بصوت منخفض)

يللا.. آهي موزونة والسلام.. المهم تنفع للتلحين.. (يزووم مفكرًا لحظة وعيناه على الورق) يعني أنا اللي ح أغير العالم!

صوت الزوجة: خلصت اللي بتكتبه يا يوسف؟

يوسف: (منهمكًا لم يسمع) قطع على نقطة الشرطة – ليل داخلي – ضابط الشرطة منير الضبع يصيح في أفراد القوة: النهاردة مع غروب الشمس تحاصروا كهف العصابة، وتخلوا بالكوا قوي من حياة العقيد نادية عزمي المتنكرة في شخص عجمية، ملاحظة سيتضح فيما بعد أنها أخت المعلم عوضين في الرضاعة دون أن يعلم الإثنان إلا متأخرًا فتقع العقيد نادية عزمي في حيرة بين العاطفة والواجب، صراع بين القلب والعقل، عذاب بين الضمير والقانون.. ألم شديد قد يستغرق حلقتين من المسلسل، وإذا أقنعنا المنتج بتطويله فقد يستغرق هذا الألم وحده سبع حلقات على الأقل.. ورزق المؤلف على المشاهدين..

تدخل الزوجة: (بغضب) أنت يا يوسف!

يوسف: (مفزوعًا ينظر ناحيتها) عجمية؟!

الزوجة: عجمية إيه؟ أنا فتحية مراتك أم عيالك! خلصت كام حلقة لغاية دلوقت؟

يوسف: شغال في السابعة

الزوجة: جدار الخطر ولا ذكريات الماضي؟

يوسف: مسلسل ذكريات الماضي بأشتغل فيه الصبح.. دلوقت جدار الخطر.. فاضل تلات حلقات بس..

الزوجة: (تزوم مفكرة) ممم.. وعوضين هرش إن عجمية تبقي أخته؟

يوسف: لاء لسه ح يهرش..

الزوجة: طب ما تخليه يهرش!

يوسف: ده في الحلقة الثامنة

الزوجة: وهي غنت "مظلومة معاك"؟

يوسف: (يهز رأسه بالموافقة)

الزوجة: (بزعيق) غنتها؟

يوسف: أيوه..

الزوجة: وأغنية "متعذبة يا دي الظنون.. ما بين ضميرى والقانون"؟..

يوسف: لاء دي ح تغنيها مع رقصة لما يقبضوا على عوضين في الحلقة التاسعة

الزوجة: طب اعمل لك همة.. على ما أحضر البامية تكون خلصت لك حلقتين.. تتعشي وتخش ع الأخيرة.. العيال لازم يصيفوا السنة دي يانور عيني..

يوسف: فاهم.. بس فيه مشاكل في الكتابة (كأنما يحدث نفسه) لأن الظابط منير الضبع خلاص أعط ى أوامر في الحلقة السادسة بمحاصرة الكهف والقبض على عوضين.. مش عارف أعمل إيه بعد كده؟ أكتب إيه؟..

الزوجة: الله! خلي عملية القبض تفشل.

يوسف: ما أقدرش

الزوجة: ليه بقى؟

يوسف: منير الضبع ده ضابط كبير.. (يطقطق بشفتيه) لا.. لا.. الضابط عندنا حسب لائحة الكتابة الفنية في التلفزيون لازم يبقي ناجح وعظيم.. الفاشل ده يكون شاعر ملحن مهندس عالم.. لكن ضابط؟ أعوذ بالله!

الزوجة: وح يعمل لنا إيه الضبع ده؟ إحنا بنسرق ولا بنزور ولا بنختلس..؟ ده احنا بنؤلف يا حبيبي..؟ ومعروفين في الضراما (تقصد الدراما) من زمان.

يوسف: (هامسًا تقريبًا) دراما بالدال..

الزوجة: (لا تعير اهتمامًا لما قاله) وأنت خايف ليه من الضبع.. مش انت عضو اتحاد كتاب؟

يوسف: (بتردد وضعف) أيوه..

الزوجة: يعني لو ضربوك في القسم.. يدافعوا عنك؟

يوسف: عادة بييجوا.. يتضربوا معانا شوية.. وبعدين نتعشي سوا في الحسين ونفتح موضوع العولمة وثورة الاتصالات..

الزوجة (باستغراب): الله. وهم.. مين بيدافع عنهم؟

يوسف: أي ضابط يكون قريب أي حد فيهم.

الزوجة: طيب أنا ابن خالتي في مرور شبرا

المؤلف: ليه هو إحنا كسرنا إشارة؟ ده تأليف! ضراما يعني!

الزوجة: ايش عرفني.. يمكن بتألف في الممنوع؟ يمكن مشيت عكس الاتجاه؟

يوسف: (بمرارة واستهزاء بما يكتبه) لاء ده المسموح قوي.. حكاية المعلم عوضين دي من أيام أنور وجدي وشرفنطح..

الزوجة: أيوه بس مسلسل ذكريات الماضي جديد.. شركة الأب صاحبها يتشل والأم تجيلها جلطة والعيال ينزلوا ضرب في بعض عشان الميراث والعمارات والشركات والأسهم.. أقول لك؟ ما تكتب حاجة عن واحد فقد الذاكرة قعد يدور عليها ثلاثين حلقة؟

يوسف: المشكلة إن اللي بيفقد الذاكرة ده لما بيستعيدها بتطلع ما كانتش مستاهلة البحث ده كله.. بيطلع كان فيها شوية تفاهات.. ما تفهميش كان بيدور عليها قوي كده ليه..

الزوجة: المهم أنها تلاتين حلقة شوف بق ى ثلاثين حلقة بكام اليومين دول؟ فلوس زي الرز.. (تدق على صدرها) الرز! يا لهوي الرز على النار!

(تخرج الزوجة مسرعة)

يوسف: (يقلدها بالدق على صدره) المسلسل! يا خرابي! المسلسل. مش عارف ليه حاسس إنه عجن مني! طالع مش مفلفل! (يقهقه) مش مفلفل تلفزيوني! (ينهض يوسف ويذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا) الناس عاوزة تقعد تتنح قدام التلفزيون أوالفيديو.. ولازم يشغلوا لهم أي حاجة.. أي حاجة.. أغنية.. مسلسل.. والمؤلفين شغالين توصيل المسلسلات إلى البيوت! دلفري! المفروض كل مؤلف يبقى عنده موتوسيكل أو "تكتك" يوصل بيه لكل الاستديوهات ويسلم كل مخرج حلقاته طازة.. (يقلد صوت الموتوسيكل ويأتي بحركة برجله كمن يقوده) المهم المؤلف رجله ما تعلمشى ع الأرض.. (بملل) ما أنا كمان بقيت مؤلف كبده وشاورمة.. (يفكر) مع أني أول ما بدأت.. أول ما بدأت (ينحني ويخرج ورقًا من درج المكتب ويفتش فيه حتى يجد مقالاً).. أول.. "مولد كاتب كبير بقلم الناقد محمد صبري"، (يتنحنح ويقرأ): "يمكن القول إن مؤلفًا مسرحيًا كبيرًا يولد الآن أمام أعيننا هو يوسف شكري الذي قدم عملاً رائعًا للمسرح جمع فيه بين الجدة والعمق والطرافة معًا" (يطرق ورقة

المقال بإصبعه) طب راح فين الكاتب ده؟ الفنان المبدع ده؟ اختفى.. بلعه المستنقع الرملي اللي لما رجلك تشبك فيه يفضل يسحبك لتحت.. حبة حبة.. تحت.. لغاية لما تلقى نفسك غرقان.. وما فيش إيد تتمد لك تنقذك.. غرقان لحد رأسك.. وبتبص لفوق للنجوم العالية.. لقبة السماء الكبيرة.. (لحظة صمت) إيه هي ذرات الرمل الصغيرة دي اللي بتتلف على رجل الإنسان زي الحبال ما يقدرش يشد نفسه منها؟ الكسل؟ الاستسهال؟ ولا الكاتب ما بيقدرش يستغنى عن احتياجاته واحتياجات أسرته عشان خاطر جميل؟ ولا عبء الكتابة المرهق التقيل؟ الكتابة عاوزه تفرغ.. عاوزه وحدة.. من ح يوكلك في الوقت ده؟ من ح يوفر لك الجبنة والعيش واللحمة والأسبرين ومعجون الأسنان؟ إيجار الشقة؟ وقمصان نوم المدام؟ (صمت. يروح ويجيء متنهدًا) ومع ذلك الظروف الصعبة دي هي الامتحان الحقيقي لصدق الرغبة في الإبداع.. فيه كتاب كتير موهوبين.. لكن عدد قليل منهم بس اللي عنده إرادة.. (ينظر في اتجاه الميكرفون ويمط الحروف التالية بقرف) جدااااار.. الـ.. خـ.. طر! الخطر! (يثور فجأة ويهجم على الورق الذي كتبه ويشقه إلى نصفين. يتبع ذلك مباشرة صوت من الميكرفون)

صوت رجالي أجش: أستاذ يوسف (المؤلف يرفع رأسه ويرهف أذنيه متنصتًا)

الصوت: يا أستاذ يوسف.. أنا الحاج عبد الرازق.. (ينكمش المؤلف كأنه يود لو تواري عن الأنظار أو كأنما يبحث لنفسه عن مكان يختبيء فيه)

الصوت: يا أستاذ.. أنا ما أقدرش أصبر أكتر من كده يعني ذنبي إني سلفتك؟ (يوسف يهز رأسه له بصمت علامة على أن الرجل لا ذنب له) وبعدين الألفين جنيه اللي أنا سلفتهم لك لوجه الله بقوا مع الفوايد ألفين وربعمايه.. ح تدفعهم إمتى؟ قلت لي فيه شغل ف إيدك ح تخلصه وتدفع.. إمتي؟ (المؤلف بخطوات حذرة يرفع الورق الذي شقه ويضمه إل ى صدره، يضع نصفي الورق متجاورين على المكتب ويجلس يواصل الكتابة بسرعة وحمية. المشهد القادم الذي يتخيله يوسف، مثل المشاهد المتخيلة الأخرى كلها يمكن إما عرضها مجسدة في الأماكن الشاغرة من المسرح، أو الاكتفاء بصوت المؤلف وهو يقرأها علينا – متروك للمخرج)

يوسف: المشهد مائة اثنين وستون – ليل خارجي – قوات الشرطة تتقدم إلى الجبال المطلة على كهف المعلم عوضين. المشهد 163 – قطع على منظر عام لصحراء والجمال التي تحمل المخدرات. لقطة قريبة لوجه جمل وهو يلوك صبارة بشوكها.

الجمل الأول بصوت خافت للجمل الثاني: تفتكر سيادتك الإشارة بتنفيذ الخطة تتأخر؟

الجمل الثاني بحزم: اسكت يا شاويش عبد الله أحسن العصابة تسمعنا.. وكمل على الصبارة اللي فى بقك ما تسيبش منها ولا شوكة..!

الجمل الأول: أول مرة يا أفندم أتنكر في شكل جمل.. وأحس بمشاعره.. أنا أصلي اختصاصي أسماك.. آخر مرة تنكرت فيها في شكل جمبري مسلوق كنت باتصنت على مهرب عملة في الغردقة، وكلني.

الجمل الثاني: كل وأنت ساكت.. حياة البوليس خشونة ورجولة.. جهاد وتحمل.. إذا عطشت تاخد بق من سنمك اللي محوش فيه الميه.

الأول: يا أفندم أنا ما جبتش السنم..

الثاني بغضب: جاى من غير سنم يا عسكري؟

الثاني: يا أفندم لما طلبت سنم في مخزن المعدات.. الصول جاد قال لي هات شهادة إنك جمل؟ قلت له ما أنا كنت سمكة قبل كده وخدت زعانف ما حدش طلب مني شهادة، قال لي سمكة معلش دي حاجة صغيرة.. لكن جمل لازم ختم النسر وشهادة اتنين موظفين في الدولة!

صوت من الميكرفون: أستاذ يوسف.. دى المرة الخامسة اللي آجي عشان أحصل قسط التكييف؟ أنا بآجي من آخر الدنيا.. الله.. دي مش أصول.. يعني أنا أكيفك تقرفني.. ده جزائي برضه؟!

يوسف: (ينصت حتى ينتهى الصوت ثم تتزايد سرعته في الكتابة ويتسارع صوته الناطق بما يكتبه):

المشهد 163 – نهار خارجي – عوضين يدخل الكهف وبيده زجاجة نبيذ، يرى رجال العصابة يحاولون إرغام عجمية على الرقص.. عجمية واقفة مرتبكة.. لا

تدري ما الذي ينبغي عليها أن تهزه بالضبط.. ولهذا تكتفي بتلعيب حاجبيها للوحوش

صوت: يا أستاذ يوسف.. الكهرباء.. 25 ألف يورو.. فاتورة يناير!

يوسف: (ينصت حتى ينتهى الصوت ثم تتزايد سرعته في الكتابة ويتسارع صوته):

عوضين يصفع عجمية على قفاها. لقطة تملأ الشاشة للقفا محمرًا ملتهبًا متورمًا معًا!

صوت: يا أستاذ.. فين ال 300 جنيه اشتراك أتوبيس المدرسة بتاع البيه الصغير.. ياعم خلصنا بقه!

يوسف: (ينصت حتى ينتهى الصوت ثم تتزايد سرعته في الكتابة ويأخذ كلما انتهى من ورقة في القائها جانبًا على الأرض):

عجمية تتحسس قفاها وتبكي قائلة - ما كنتش أظن آخرة الغرام ضرب ع القفا ياعوضين!

صوت: أستاذ يوسيييف.. أبويا بيقولك إنه قاعد قدام التلفزيون مستني المسلسل عشان تدفع أل 90 جنيه اللي عليك بتوع السجاير ولامؤاخذة البسطرمة.. وبيترجاك تخلص لأنه ما بيقومشي من قدام التلفزيون ومعطل مصالحه..

يوسف: (ينصت حتى ينتهى الصوت ثم تتزايد سرعته في الكتابة كأنه محموم):

ينطلق آذان الفجر.. عوضين يتحسس كفه التي صفع بها عجمية ناظرًا إل ى السماء مع صوت الآذان بندم وعيناه دامعتان.

أغنية "محتارة يا دي الظنون، ما بين ضميري والقانون" - يفترض أنها تسخر من الأغاني الشائعة الرخيصة - عجمية تغني:

آهين وآه.. وآهين يابا..

عقيد بوليس جوه عصابه..

الحب عدى عليه صابه..

بلصطاد لقيتني منصادة

للناس عوض وأنا عوضين!

عديت بنظرة ياسي عوضين..

وقعت قلبي برمش وعين..

والنص عندي بقى نصين..

أشوف عوض أتشق اتنين..

للناس عوض.. وأنا عوضين!

صوت الزوجة: البامية خلصت يا أبو حجاج..

يوسف: (ينصت حتى ينتهى الصوت ثم تتزايد سرعته في القاء ما يكتبه جانبًا على الأرض):

البوليس يقتحم الكهف ومن ضمن القوة جملان، عوضين يحتمي بعجمية ويشهر مسدسه: اللي ح يقرب مني ح أموتها. أفراد الشرطة يصوبون بنادقهم نحوه. نهاية الحلقة السابعة. جـ ـ دار.. الـخـ ... طـ.. ر تأليف يوسف شكري! (يلقي بالقلم وينهض نافخًا متعبًا. يتثاءب ويتمشى قليلاً في الغرفة يفرد جسمه).

صوت الزوجة: أبو حجاج.. البامية.. (تنطق البامية ممطوطة برقة أنثوية كأنها تدعوه لشئ آخر) البـ.. ـ .. آ.. مـ.. يـ.. هـ.. (المؤلف يرفع رأسه ناحية الميكرفون متطلعًا منصتًا) البامية (بصوت به بحة) البامية يا يوووسف.. البامية وهي سخنة.. الله!

يوسف: (بضجر) كل يوم بامية؟

صوت الزوجة: (بزعيق) مالها البامية ياسي يوسف؟ مش حلالك؟ ولا أنت عينك زاغت على فاصوليا خضرا لذيذة صغيرة؟

يوسف (يتثاءب واضعًا يده على فمه) لا ياشيخة.. لذيذة إيه بس.. كل الحكاية إني تعبان شوية.. عاوز أنام. (يرفع الغطاء الموضوع فوق الكنبة لأعل ى) بس قفلة الحلقة دي جات حلوة.. عبد العزيز المخرج يحب القفلات دي.. يقول لك عليها سسبنس.. عوضين ماسك عجمية ورافع مسدسه والبوليس منشن عليه البنادق. حلوة. (يعدل وضع المخدة) ياترى عوضين ح يعمل إيه بعد كده؟ لازم يهرب له حلقتين على الأقل. (يتثاءب. يطفئ المصباح فوق المكتبة ويرقد على

الأريكة لينام ويسحب الغطاء على جسده. إعتام. أثناء فترة الإعتام يرقد ممثل آخر أيضًا على الأريكة دون أن يلحظ المتفرج ذلك بالطبع. هكذا يكون لدينا مؤلفان، أحدهما سيظل راقدًا أمام المشاهد، والآخر – الذي عرفناه – سينهض فيما بعد ويتكلم، للايحاء بأننا أمام روح، وأمام جسد نائم، لنفس الشخص. وبعد ثوان نسمع شخيرًا. وبعد عدة ثوان نرى بوادر ضوء الفجر الخفيف على زجاج الشباك. هنا سيبدأ مرة أخرى اللحن الموسيقي المميز كخلفية خفيضة الصوت وهو نفس اللحن الذي افتتحنا به عند جلوس المؤلف في البداية للكتابة، يبدأ اللحن مع نهوض (المؤلف (1) الحقيقي) من على الكنبة، ليقف المؤلف أمامنا، بينما بدنه (المؤلف 2) راقدًا أمامنا على الكنبة في نفس الوقت. على الممثل الراقد أن يتقلب على الكنبة من وقت لآخر، ويشخر، أو أن تسقط ذراعه خارج الكنبة، للايحاء بأننا أمام بدن انفصلت روحه عنه وتحررت في حلمها أمامنا. يتحرك (المؤلف 1) أمامنا ويشعل المصباح المدلى ثم يتجه نحو المكتب. يلقي بنظرة على الأوراق. يجلس. يضع رأسه بين يديه. يدخن. يقف ثانية يتحرك. يتنصت على صوت غير مسموع.. على الصمت).

يوسف: الناس كلها نامت.. الرجاله والنسوان اللي بيوروا طول النهار يطحنوا من اللي فوق.. ويطحنوا اللي تحتهم.. اللي لحم رجليه مواصلة نام واللي ف مرسيدس.. اللي عيونهم بتلمع من كتر الحنان.. واللي بتلمع م العجرفة ناموا.. الأطفال اللي حاضنة لعب على مخدة ملونة.. والأطفال اللي حاضنة كلينكس ع الرصيف عشان تبيعه.. دلوقت بس عرفت النوم مهم ليه.. الكون بيستريح فيه من البشر.. وتفضل بس الأحلام زى نور خفيف على قزاز الشبابيك.. بس الأحلام.. مملكة العدل الوحيدة اللي عرفتها البشرية.. ما فيهاش حلم مسرع يدوس حلم بطئ.. ولا حلم سجان وحلم مسجون.. ما فيهاش حلم برتبة ونياشين وحلم تاني واقف بيترعش من الخوف قدامه.. ما فيهاش حلم صفيق يوماتي عامل عزومات وملعلع وبيمشي شغله.. وحلم تاني مش عارف يمشي شغله لأنه حساس وغلبان.. الرغبات كلها بتمشي جنب بعض.. مش ضد بعض.. كل واحد حر يحلم بطريقته قد ما يلزمه.. في الأحلام بس تبقي ريشة عصفور.. أو كمانجة حنينة..

تبقى قيشاني في حمام أو سلطان في قصر.. أنت حر.. تبقى كل حاجة، أو ما تبقاش أي حاجة.. أنت حر.. (من تقمص بدن المؤلف نائمًا يشخر. ينظر إليه).. نام شوية.. نام وريح الناس من مسلسلاتك السخيفة.. (يشخر بقوة) (يكمل) وأنا من زمان بأحلم أكتب حاجة مش عارف إيه هيَّ.. زي ما واحد نفسه تهفه على حاجة حلوة.. تقول له إيه؟ يقول لك مش عارف.. بس نفسي أكتب حاجة سهلة وجميلة.. أبتديها منين؟ بمين؟ بإيه؟ (بتصميم) المهم إني أبدأ.. أحط الورق الأبيض وأرمي قلمي فيه.. زي الصياد لما بيرمي شباكه في البحر.. وأنا وحظي.. تطلع لي حورية بديعة أو جزمة قديمة من مركب غرقانة.. الكتابة الحقيقية كده.. مغامرة..

(يجلس إلى المكتب بحماسة ويشرع في الكتابة)

يوسف: الزمان هذا العام.. المكان شقة في حي متوسط في القاهرة.. (يظهر عمال الديكور على الفور ويشرعون في تركيب منظر شقة في يمين المسرح.

(يوسف يفكر) الناس بتزهق م الشقق والأوض في المسرحيات؟ نخليها جنينة؟

(عمال الديكور يخرجون ديكور الشقة بسرعة ويركبون شجر جناين).. لكن احنا ما عندناش جناين تنفع لحدث مسرحي.. (يفكر) دا احنا ما عندناش جناين أصلاً!! نخليها قهوة واتنين مثقفين قاعدين.. (يغير عمال الديكور والضجر على وجوههم المشهد إلى كراسي وترابيزات مقهى) (يفكر) اتنين مثقفين.. ده يقول لده عولمة، التاني يقول له لاء كوكبة، ده يقول له تيزيس.. يقول له أنتي تيزيس.. (يطقطق بشفتيه برفض) لا... المثقفين دول آخر حاجة الناس تحب تشوفهم على المسرح، لأنهم دايمًا يقولوا كلام مجعلص، وما تعرفلهمش فايدة.. (عمال الديكور واقفين كمن أسقط في أياديهم) (ينهض ويذرع الغرفة. تسقط يد النائم قرب ساق المؤلف وهو يتمشى يعيدها لمكانها بقرف ثم يوجه حديثه إلى النائم يشخر مع إشارة رجاء بيده) ما تقوم تشوف لك حته تانية تنام فيها؟ (النائم يشخر) – (المؤلف يزغده في كتفه بقوة) إرحمنى بقه.. نازل لي شخير على تطويح إيدين (يكون المؤلف قد اقترب من جسم النائم فيسد أنفه بأصبعين مرتفعًا بجذعه لأعلى) أنت ما تطلعش منك حاجة عدلة أبدًا؟ فكرتني بعم سعد كان يبقى قاعد

وسط الرجالة في بلدنا و..   (كمن تنبه فجأة) بلدنا؟ أكتب عن بلدنا..   دنفيق الحاجر؟!.. المرمية في حضن جبل في الصعيد؟ (عمال الديكور يخرجون كراسي المقهى وترابيزاته) لكن تطلع إيه دنفيق الحاجر على خريطة العالم؟ ولا حاجة. حتى اسمها يضحك. دنفيق.. كأن الأسماء خلصت أيامهم مالقوش غير دنفيق؟! الله طب وماله؟ هو فيه مكان ما ينفعش لعمل.. بس أكتب إيه؟ قصة حب بين شابين في كفر أرضه عطشانة مية.. الميه وراه.. لكن الجبل حايشها.. (يجلس إلى المكتب يمسك القلم بحماسة وتفكير في هيئة من أصبح كل شئ واضحًا أمامه) الجبل مسرحية من فصل واحد.. أيوه (يطوح ذراعه في الهواء بحزم) فصل واحد.. ما فيش رغي وعجن.. تأليف يوسف شكري.. (يكرر اسمه مستعذبًا وقعه هذه المرة كمؤلف حقيقي) يوسف شكري (يفكر) طيب.. نفتح بكورس.. يقدم بداية الحكاية..

(تضعف الإضاءة فوقه. ويضاء يسار المسرح أو المستوى الأعلى كيفما يريد المخرج لنرى كورس من الفلاحين يتقدمه ريسهم على خلفية من ظلال الجبل، والنخيل، ربما يمر من خلفه طفل بجلابية أو أية تفاصيل توحي بالقرية. يوسف يتأمل الكورس، كأنما يزن أمرًا، يظل الكورس متجمدًا طالما أن يوسف يتأمله)

يوسف: (يتأمل الكورس متشككًا يحك ذقنه) طق.. مش عارف.. بيتهيألي ما فيش داعي للكورس.. (يشرع أفراد من الكورس في الاستدارة للانصراف والآخرون وراءهم وقبل أن ينصرفوا) ومافيش داعي ليه؟ (يعود أفراد الكورس الذين بادروا بالانصراف إلى موقعهم السابق ويتجمدون هناك. يتأملهم يوسف مقلبًا بصره فيهم)

ريس الكورس لآخر بجواره: شغل إيه ده؟ هو ما فيش غير المسرحية دي ولا إيه؟ يا يشغلونا يا يسيبونا نشوف مصالحنا!

الآخر: أنت واخدها جد قوي ياريس احنا جايين تهيؤات بس.. خيال مؤلف..

الريس: (بحدة) خيال مش خيال.. احنا ورانا أكل عيش.. مش يجيبنا على أساس ح يتهيأله.. وبعدين ما يتهيألوش.. (يلوح بذراعه بضجر)

(يوسف يقرع المكتب بقبضته أو بدباسة ورق محتجًا على الحوار الدائر بين ريس الكورس والمنشد لآخر. يلتزمان الصمت. ينظر إلى الكورس. ثم يعلو بيده

ويسقطها في الهواء كأنه يغامر بقرار ما، معطيًا بذلك وكأنه المايسترو إشارة البدء. (سنرى مع الأغنية نوعًا من الرقص التعبيري) يللا.. إديها أغنية افتتاحية..

الكورس:

حدوته يابكره ياجاي.. حدوته يابكره ياجاي

إحكي ياريس قول.. إحكي ياريس قول

يمكن ف حكايتك نفهم ليه؟ وإزاي

يمكن ف حكايتك نلمس لون الفجر الجاي..

حدوته يابكره ياجاي

ونشوف الحب سنين بتطول

ويفتح زهره النادي ما لوش فصول

ونحاول مرة نهادي الناس.. ونحاول مرة نهادي الناس

حدوته يابكره ياجاي.. حدوته يابكره ياجاي!

يوسف: (مع وقفة اللحن الموسيقية يصفق مبهورًا بما سمعه) الله. يا سيدي.. لا..لا.. خطف كده ما ينفعش.. (يعطي إشارة البدء بيده) تاني! (تعاد الأغنية. ويوسف يدور معها بحركات راقصة خفيفة. عند انتهاء الأغنية يجلس يوسف على الفور يكمل الكتابة. ما سنراه بعد ذلك هو الأحداث نفسها التي يكتبها يوسف مجسدة في الأماكن الشاغرة من المنصة)

رئيس الكورس:

الليلة الحكاية عن شريفة وفوزي.. اتنين حبوا بعض.. الولد من دنفيق الحاجر طول عمره هنا، لكن اتولد فين.. مانعرفش.. أصله إيه ولا إبن مين.. ما نعرفش.. رباه عم السيد وسط ولاده والسلام.. البنت شريفة.. اسم على مسمى.. جميلة.. طباعها وأخلاقها مليحة.. بعد أبوها ما أعطاكم عمره – الله يخل لكم أهاليكم –

اتحكم في أرضها عمها الجارحي وابنه حلمي.. مش عاوزين نزهقكم وأنتم ضيوفنا.. شوفوا انتم بنفسكم الباقي.. واتفرجوا.. ع اللي ح يحصل..

(يتواري الكورس في ناحية أو يختفي، تظهر شريفة من ناحية وفوزي من ناحية أخرى. شريفة تتجه نحو فوزي في فستان أو جلابية ريفية بسيطة جميلة دون مبالغة في جمالها، تقترب منه ملوحة بيدها)

فوزي : يا تري الأخبار كويسة المرة دي يا شريفة؟

شريفة: (يبدو عليها الغم) مش عارفة أقول لك إيه..

فوزي: مش عاوزك تقولي حاجة، عاوزك بس تعرفي إني مستعد أعمل أي شئ عشانك..

شريفة: (ببسمة واسعة) أنا عارفة.. بس بأحب أسمع الكلام ده منك.. فاكر واحنا صغيرين لما العيال راهنوك قدامي تركب القطر وهو ماشي؟ أنا كنت باقول لك بضحك: لو جدع نط.. بصيت لقيتك عملتها؟!

فوزي: أنا عشانك أعمل أكتر من كده.. بس أنا مش فاهم هم بيعاكسوا جامد في حكايتنا ليه؟

شريفة: عمي بيقول ما أقدرش أجوزك واحد ما نعرفش مين هو؟ بيقول لو كانت حكاية إنه طمعان في أرضك بس.. كانت تهون.. لكن ده ما حدش عارف له.. (تتلجج وتحجم عن نطق الكلمة)

فوزي: ما حدش عارف له أصل.. مش كده؟

شريفة: ما تزعلش مني يا فوزي.. أنا بقول لك اللي حصل.

فوزي: ح أكون مين يعني؟ ما أنا قدامك آهو!.. وبعدين مش أنا اللي طمعان في أرضك.. ده عمك إللي مكوش عليها مع إنها بتملح من قلة الميه، زي كل أرض البلد ما بتملح..

شريفة: أنا عارفه.. لكن كلامه إن احنا ما نعرفش إن كنت.. (صمت).. ولا إن كنت صعيدي أو بحراوي.. بدوي ولا فلاح.. لأن..

فوزي: عارف.. عم السيد رباني مع عياله واختار لي اسمي.. مع إن هو نفسه مش عارف لي أصل ولا فصل..

شريفة: ما تتضايقش مني يا فوزي.. أنا إن كان عليَّ..

فوزي: (يطرق برأسه) إن كان عليكِ.. تعملي إيه؟

شريفة: (مرتبكة) أنا اللي أقدر أعمله إني أستناك العمر كله.. أغمض عيني على وشك.. وآخر حاجة أسمعها يكون صوتك..

فوزي: بس برضه عمك عنده حق.. أنا لازم أعرف أنا مين؟ عم السيد كان ل يَّ أكتر من أب.. لكن.. ما حدش يقدر يعيش من ما غير ما يعرف مين هو؟ إبن مين؟ جه الدنيا إزاي؟ بغلطة ولا بقصة حب؟ من واحدة حبت واحد وحملت منه لكن أهلها رفضوه، ولا من غازية خلفته ورمته بالليل للديابة..

شريفة: (مقاطعة باستنكار) ما تقولش كده يا فوزي..

فوزي: إمال أقول إيه بس؟

شريفة: قول كلام كويس.. يديني أمل..

فوزي: لو قلت لك اللي ف قلبي ح تقولي عليه مجنون..

شريفة: وماله؟ مش أحسن ما تبقي عاقل ودمك تقيل؟

يوسف: (يرفع القلم فيعتم مشهد شريفة وفوزي يمينًا حتى يختفي البطلان، وتتسع رقعة الضوء فوق يوسف. ينظر إلى الشباك في حجرته) لسه قدامي ساعة كمان.. والنور يطلع والحلم يختفي (ينهض يذرع الغرفة ويفكر) دلوقتي اتنين حبوا بعض.. مشكلتها إن عمها عاوز يفضل مكوش عل ى أرضها.. مشكلته هو إنه عاوز يعرف هو مين؟ أصله إيه؟ (ينظر إل ى الشباك بغرفته) لازم ألحق قبل الشمس ما تطلع.. (يقترب من النائم الذي يشخر) ارحمني بقه.. طرشتني وعمتني.. (ينظر إليه بغيظ) يا ترى فاضل كام حلقة من المسلسل اللي بتسمعهوني ده؟ (يتجه نحو الشباك ليفتحه قليلاً أو يحاول فلا ينجح. يستدير للنائم) ولا اللي فات ده كله تتر؟

(يجلس يوسف للكتابة ثانية فتخفت الإضاءة عنده مع استمرار شعورنا بوجوده، بينما يضئ المشهد في الناحية الأخرى لنرى فوزي جالسًا وحده عند جسر.

(يدخل حلمي ابن الجارحي بجلابية وعصا غليظة ومعه اثنان من الفلاحين الشبان بعصى)

حلمي: سلاموا عليكم.. ياسي فوزي..

فوزي: (يقف وينتر التراب من على سرواله) وعليكم السلام..

حلمي: أنت مش ح تسيبك من الكلام الفارغ اللي أنت شغال فيه ده؟

فوزي: (بدهشة وترقب) كلام إيه؟

حلمي: أنت فاهم وأنا فاهم.. والنفر مفروض يكون عنده إحساس..

فوزي: (يندفع للأمام قليلاً نحو حلمي، فيتقدم الاثنان الآخران بدورهما): يعني إيه إحساس؟ ما تتكلم دوغري يا سي حلمي؟

حلمي: لما الواحد يطلب حاجة وأصحابها يقولوا له لاء.. مش يسكت بقه ويحط لسانه في بقه ويسيب الناس في حالها؟..

فوزي: آه.. فهمت.. وأنت بقى صاحب الحاجة دي؟ يعني الحاجة دي من بقية النخل إللي عندك عشان تقول عليها لاء وآه.. (بسخرية) ياسي حلمي؟

حلمي: دي بنت عمي.. واحنا ما نجوزش بناتنا لناس ما لهاش أصل.. ما نعرفش هم منين.. (بنظرة وعيد) احنا مش فاضيين للكلام ده يا سي فوزي. سلاموا عليكم.

(ينصرف الثلاثة)

فوزي: (ينهار جالسًا كما كان) صحيح.. حلمي ندل.. لكن كلامه صح.. حتى الأندال ساعات يبقوا صح.. أنا ماليش أصل.. ما أعرفش أنا.. مين؟.. لو كان عليَّ أنا يكفيني إن عم السيد هو اللي رباني.. وكان زي أبوي.. لكن مع ذلك كنت ساعات واحنا بنآكل أستحي أزق ايدين ولاده عشان أوصل لطبق الفول.. هم كانوا يزقوا إيدين بعض.. وأنا أحس إني غريب.. إن مش من حقي.. ساعتها كنت بأتمني أعرف لي أصل. (ينهض متأملاً نفسه وبدهشة) وح أكون مين يعني؟ أنا آهو! (يرفع ذراعه اليسرى لأعل ى ناظرًا إليها) آدي دراعي.. وآدي عنيه (ويشد خديه) وآدي خدودي.. ح أكون مين يعني؟ فوزي فوزي.. اللي كبر في دنفيق الحاجر.. يكسبوا إيه لما يعرفوا إن أبويا أحمد جاد الله ولا سمير بطرس؟ فرقت إيه؟ عربي ولا بدوي؟ من المجرمين بتوع الجبل، ولا الفلاحين بتوع بحري..؟.. (صمت) بس برضه لازم أعرف.. مش بس عشان يسكتوا ويخرسوا.. لكن كمان

عشاني أنا.. (يثب فجأة ويضرب بقدمه أو بفرع شجرة ثعبانًا صغيرًا على الأرض) الأرض دي اتجننت من العطش والبور.. ما عدتش بتطلع غير الثعابين والشوك..

(فتاة تمر مندفعة تحرك طرحتها فوق رأسها كعادة الفلاحين في الكوارث)

فوزي: (ينتبه ويقف ناظرًا إليها) فيه إيه كفي الله الشر؟

الفتاة: (صارخة مولولة) بنت آبا حسين.. البنت الصغيرة..

فوزي: نعيمة.. مالها؟ جرى لها إيه؟

الفتاة: يديك عمرها.. (تكمل سيرها المندفع)

فوزي: (يدق كفًا بكف) البلد كلها بتشرب من ميه الآبار.. والمية بتطفح طينة سودة.. دا ثاني عيل يموت في شهرين.. ياحول الله..

(يظلم المشهد السابق وتقوى الإضاءة حيث تقع غرفة يوسف. ولابد أن يستغرق مشهد يوسف القادم من المخرج وقتًا كافيًا لتبديل المشهد الآخر هناك على الجانب الآخر).

يوسف: (محدثًا نفسه) دنفيق الحاجر ما بتوصلهاش ميه نضيفه.. الأرض بتملح وتشقق.. والناس بتموت.. فوزي بيحب شريفة.. لكن لازم يعرف هو مين عشان يتجوزها. (بحيرة) ومين البنت دي اللي عدت وهي بتصرخ؟ طلعت منين؟ دي مش من تأليفي! (ينظر حوله بشك) يكون فيه حد تاني بيؤلف من ورايا؟ (ينظر حوله ثم ينظر تحت المكتب باحثًا بتشكك عن شخص آخر) مين اللي بيألف هناك؟ (يتراجع للخلف قليلاً) إطلع بقول لك. (صمت) مافيش حد! ماشي.. (يهرش رأسه ويسجل شيئًا على الورق وهو يقول) خلي البنت اللي عدت زي ما هي. وخلينا دلوقت مع فوزي. فوزي ومشكلته..

(إعتام عند يوسف الذي يجلس يواصل الكتابة – إضاءة على الناحية الأخرى في وسط المسرح أو يمينه حيث نر ى وقت المغرب صالة دار ريفية مفتوحة على بلكونة كبيرة تطل على فراغ معتم قد يكون حقلاً، فوزي بالجلباب في الصالة يصب الشاي من إبريق لأصدقائه الأربعة: خالد، وسعيد، ومؤنس، وعلى. سعيد ومؤنس يلعبان النرد ويشربلن الشاي. خالد يقلب صفحات مجلة دون اهتمام. على يكاد أن ينام على كرسي وهو يهش ذبابة من وقت لآخر.

من الراديو الموضوع بمكان في الصالة نستمع إل ى المقطع التالي (يمكن أن نرى الحوار على شاشة التلفزيون، في واقع الأمر على شريط فيديو، لكن يبث كأنه برنامج تلفزيوني)

المذيعة: سيداتي سادتي نواصل الآن برنامجنا الثقافي "قضايا الريف" ونذكركم بأن ضيفينا اليوم الدكتور طه النمر الكاتب المعروف من مركز الأبحاث الاستراتيجية

المذيعة تلتفت لطه: دكتور طه.. توقفنا قبل الإعلانات عند كلامك عن البعد ال (تتلعثم) ال.. ال..

طه: (بغضب) الابستيمي!

المذيعة: أيوه. وبما أن الموضوع ده يهم قطاعات واسعة.. فممكن نوضح لأبنائنا في الريف.. إيه هو البعد.. (تتلعثم) ال.. ال..

طه: (يقرع المنضدة بيده) الابستيمي!

المذيعة: أيوه.. اتفضل..

دكتور طه: أنا بكلمات بسيطة أقول لأمهاتنا في الريف إن البعد الأبستيمي هو الجزء الكوني للظاهرة المتفردة المنبثق تاريخيًا من التيزيس THESIS والأنتى تيزيس ANTITHESIS وهذا البعد يأخذ منحاه السوسيولوجي على المستو ى التحركي كما أشار فوداتوس بيرتون في كتابه العولمة نهاية العصر الرقمي. وهنا بالذات أتوجه بحديثي لأمهاتنا في الريف لكي ينتبهن أنه من دون ربط ذلك البعد جذريًا بظاهرة أل ALIENATION أي الاغتراب يصبح من الصعوبة بمكان بلوغ التحقق الإشكالي في المكانية الانتشائية. أؤكد لأمهاتنا في الريف مرة أخرى على هذا الجانب.

(يشد البرنامج بلغة المثقفين غير المفهومة أسماع الجالسين فيتطلعون لبعضهم البعض بعيون الدهشة)

على: إيه ده؟

فوزي: برنامج قضايا الريف. (علي يفرك عينيه وينصت باهتمام مستغربًا).

المذيعة: أعتقد أن أمهاتنا وأخواتنا كلهم بيسمعونا دلوقت.. (رنين هاتف) معنا اتصال من طنطا

صوت فلاحة: آلو..

المذيعة: أيوه اتفضلي. سامعينك.

الفلاحة: آلو..

المذيعة: تفضلي يا ست.. سامعينك.

الفلاحة: سامعيني؟ الحمد لله.

المذيعة: سؤالك..؟

الفلاحة: لا هو مش سؤال لامؤاخذة.. الحكاية وما فيها إني ركبت تلفون من كام يوم كده.. وبعيد عنك كانت سماعته فيها شوشرة جامد.. الجدع اللي ركبهولي خد منى خمسة جنيه وقال لي الشوشرة ح تروح لوحدها وباين كلامه صح. مش أنتم سامعيني كده؟ أنا سامعاكوا.. ما فيش شوشرة.. الحمد لله!

المذيعة: نعم..

الفلاحة: يبقى الراجل صدق في كلامه بقى.. (تخاطب شخصًا واضح أنه بجوارها) الشوشرة راحت يا أبا الحاج.. الصوت حلو قوي كده..

صوت رجل: طيب خلاص إقفلي التلفون بقى. (ينقطع الاتصال)

(يلفت البرنامج انتباه فوزي وخالد وسعيد ومؤنس فيستمعون إلى الراديو، أو إن أراد المخرج برنامجًا تلفزيونيًا، يستمعون بدهشة وعيون مفتوحة إلى آخرها)

على: (يفرك عينيه، ثم مستفزًا) إيه ياعم الكلام ده؟ ما تشوف لنا حاجة عدلة..

(فوزي يبدل محطة الراديو، أو قناة التلفزيون إن كان المشهد سيعرض. سنسمع أو سنرى أم كلثوم تغني)

صوت أم كلثوم: لا تبخلوا من مائها على ظمي.. وأطعموا من خيرها كل فم.. لاتبخلوا من مائها على ظمي..

خالد: قليل لما يذيعوا الحاجات الحلوة دي (يترك المجلة. ويغلق الاثنان النرد، وعلى يتطلع لما حوله بحثًا عن أكل. فوزي سارح يفكر)

(يتكرر مقطع لا تبخلوا من مائها)

فوزي: (متفكرًا) ياحول الله.. النهاردة البنت الصغيرة نعيمة بنت آبا حسين ماتت.. م المية الوسخة.

على: (بانفعال) ده كله من غضب ربنا.. قلة الإيمان تعمل أكتر من كده.. بلد زي دي ما فيهاش غير جامع واحد.. وقلت ميت مرة نبني جامع تاني ما فيش فايدة ولو حتى نلم فلوسه من الأهالي.. مفيش فايدة..

خالد: فلوس إيه اللي ح تلمها يا على؟ حد معاه فلوس؟! وبعدين اللي يحتاجه البيت يحرم ع الجامع.. والناس مش لاقية ميه..

مؤنس: الميه النضيفة الوحيدة ورا الجبل.. تحتاج نفق يتفحت جوه الجبل عشان توصل للبلد..

خالد: حكاية زي دي عاوزه تخطيط ونفقات وحكومة..

سعيد: أنا قلت لكم.. أشوف لكم جهة أجنبية تمول مشروع ميه في البلد.. دلوقت كل حاجة ماشية بالتمويل.. فورد فونديشن وغيره.. وناس كتير بيهبروا.. والفلوس للركب..

خالد: الجهات دي بتمول الحاجات اللي تنفعها بس.. أفكار عاوزينها تمشي.. مشروعات سياسية.. وبيلقوا اللي يمشيها لهم وياخدواعمولتهم.. لكن قول لهم عاوزين نمول مشروع ميه، ولا محو أميه، ما يدفعوش ولا مليم.

سعيد: آدي احنا نحاول.. ح نخسر إيه؟

مؤنس: ونحاول ليه؟ هي بلدنا قليلة؟.. ده الصعيد ده كان أرض المجد والآثار الفرعونية.. المهم إننا كلنا نحط إيدنا في إيد بعضنا.. من غير حساسيات.. ولا تمييز.. نقول كلنا مع بعض.. مصريين.. الدين لله والوطن للجميع..

على: (بغيظ) أنت وسعت العملية كده ليه يا سي مؤنس؟ وطن إيه ودين إيه؟ احنا كنا بنتكلم على شوية ميه؟

خالد: مؤنس عنده حق.. النفوس لازم تبقى صافية.. ما كانش فيه تمييز ولا حساسية لما كنا بنبني السد العالي وشغالين تصنيع تقيل.. و..

على: (يقف) يا دي النيلة يابلح؟ رجعنا للتصنيع التقيل تاني؟ كل ده من نقطتين ميه؟ لا.. خلينا كده أحسن..

فوزي: (سارحًا) برضه البني آدم ممكن يعمل حاجة..

على: عندك حق يا خويا.. عارف البني آدم ممكن يعمل إيه؟ شوية شاي تقيل عشان دماغي انخرم.. من التصنيع والوطن للجميع..

سعيد: (ضاحكًا) الحاجات خلاص يا خالد.. راحت.. احنا في عصر تاني.. خالص..

فوزي: فضوها سيرة.. كل مرة نتكلم.. ولا بنتفقش على حاجة.. الظاهر اللي عاوز يعمل حاجة لازم يعملها لوحده.. من غير كلام..

على: عندك حق يافوزي. أنا عاوز أشرب الشاي وأقوم أعزي أبا حسنين (فوزي سارحًا) يادي النيلة يا بلح.. بقول لك عاوز أشرب الشاي.. يافوزي..

مؤنس: (ينظر بشك لفوزي) أنت باينك لسه شاغل بالك بحكاية شريفة؟ البنات على قفا من يشيل!

على: (مشيرًا لفوزي) بس القفا ده (مقهقهًا) كل ما ييجي يشيل يقولوا له.. لاءه.

سعيد: يا عم فكها. عاجبك إيه في دنفيق الحاجر دي؟ ولا اللي خلق شريفة ما خلقش غيرها؟ الجواز دلوقت بقى بالانترنت، ما فيش واحدة طليانية ولا فرنساوية ح تقول لك بس لازم الأول أعرف أصلك..

فوزي: أيوه هي مش ح تقول.. لكن أنا لازم أعرف.. مش عشان حد.. عشاني أنا.. ساعات أفكر (يرتشف الشاي) صحيح.. أنا مين؟

على: (يمد يده على قدح شاي خالد) إيه اللي أنت مين؟ فوزي ماجد وموحد بالله..

مؤنس: على فكرة يا ناصح.. فوزي ماجد اسم ينفع مسيحي.. برضه..

على: الله! احنا بنتمنى له الحاجة الحلوة! (يتلفت حوله بعينيه) أنتوا مش عاوزين تتعشوا؟

سعيد: والله أنا لو مكانك يافوزي كنت أنبسط.. عندك فرصة مش عند حد.. تختار تبقي اللي أنت عاوزه.. وتعيش في الألفية الثالثة من غير عقد.. أنت إيه ما بتسمعش عن حاجة إسمها العولمة؟ العالم دلوقت قرية صغيرة.. الكلام بقه عن

تاريخ واحد للعالم كله.. ووطن واحد للفلوس والأفكار والمعلومات.. وأنت عمال تقول لي أنا مين؟

خالد: أنت مصري يا فوزي.. ممكن ما تكونش عارف مين والدك أو والدتك بالذات.. لكن أنت شارب تاريخ مصر كله من أحمد عرابي لحد دلوقت..

مؤنس: واشمعنى يعني من أحمد عرابي؟ ليه ما اعتبرتوش مصري من أيام الفراعنة؟ هي مصر بدأت مع عرابي؟..

على: مؤنس نط لنا تاني بحكاية الفراعنة واللغة الهيروغليفية وعنخ آمون، مع إن كل ده.. (بزعيق لفوزي) ما تختشي على دمك يا فوزي وتقوم تشوف لنا لقمة نآكلها؟ مش قاعدين بنتكلم عن مشكلتك وحارقين قلبنا عليك؟

سعيد: (لعلي) يا أخي اسكت بقه.. (ثم لفوزي) باقول لك إيه أحسن حاجة تعملها تسيب دنفيق الحاجر دي من أصله.. وتروح القاهرة تشوف رزقك هناك.. وهناك لا حد ح يقول لك أصلك ولا فصلك..

خالد: بقول لك إيه.. مش أنت بتقول إن شريفة متمسكة بيك؟

فوزي: أيوه..

مؤنس: طيب.. دي ورقة ضغط كويسة على عمها

خالد: بالظبط كده.. يعني هو الجارحي ح يفضل حاجزها عشان خاطر الأرض اللي بتملح من قلة الميه؟.. روح قابله.. تاني.. وتالت.. لما يسلم

فوزي: (لسعيد) وأنت خلاص بعت حتة الأرض اللي كانت عندكم؟

سعيد: طبعًا.. كلها يومين وأرجع القاهرة..

خالد: ويا عالم ح نشوفك امتى تاني..

سعيد: عنواني عندكم يا خويا.. اللي ييجي أهلاً وسهلاً.. لكن ما أظنش أنا آجي دنفيق الحاجر دي تاني..

صوت أم كلثوم: لا تبخلوا من مائها على ظمي..

(لحظة صمت. الجميع ينهضون)

خالد: ياللا بينا نروح نعزي آبا حسين..

مؤنس: يللا.. بس أنا الأول ح أعدي على بيت حنا وسمير.. آخدهم معايا ونيجي لكم..

على: يللا.. لا شاي عدل شربنا، ولا عشاء اتعشينا، وآدي اللي بناخده من أمثالكم. سلاموا عليكم.

(ينهض سعيد معهم. وينصرف الجميع تاركين فوزي وحده)

فوزي: (فوزي يرسل بصره إل ى الفراغ في حيرة. بقعة ضوء على فوزي في مونولوج) لما الواحد يحب واحدة وتحبه.. الناس تقوللله إحنا ما نعرفش أنت مين؟ جيت منين؟ أصلك إيه؟ ظهرت ليه؟ ومع ذلك ح تفضل شريفة في عنيه أحلى بنت في الدنيا.. أجملهم من واحنا صغيرين لحد دلوقت، من دلوقت لطول عمري..

(في بقعة أخرى من المسرح نرى رقصة أطفال يغنون، يجددون ذاكرة الطفولة وقصة حب فوزي لشريفة)

أغنية:

حط الحمام.. شال الحمام..

قلبي انخطف.. من غير كلام..

شريفة تجري.. للأمام..

على حصان.. من غير لجام..

وتاخدني اللعبة لحد ما نتعب

أروح دارنا وأحاول أنام.

حط الحمام.. شال الحمام

بدر السلام.. ع الكون وأنا..

ما أقدرش أنام..

شريفة تجري.. للأمام

على حصان.. من غير لجام..

(إظلام تدريجي حيث فوزي والأطفال مع نهاية الأغنية. أضاءة تدريجية حيث يوسف)

يوسف: وبعدين؟.. المفروض بعد كده إن (الجسد النائم يتقلب).. مالك؟ ما أنت نايم وكويس آهو؟

جسد المؤلف النائم: (يزووم ويطقطق بشفتيه كأنه في طريقه للاستيقاظ يستحسن أن يتحدث المؤلف النائم بصوت يوسف) ياه.. أنا نمت كتير قوي..

يوسف: لاء.. اعمل معروف كمل نوم.. ولو ساعتين كمان.. ساعتين بس على ما أخلص..

جسد المؤلف النائم: (يرفع رأسه قليلاً ملفوفًا في الغطاء متلفتًا حوله) أنا مش فاهم حاجة.. إحنا في الواقع ولا في الحلم؟

يوسف: أنت في الواقع.. وأنا في الحلم..

جسد المؤلف النائم: (متثائبًا) طيب.. الواقع بقه إني لازم أصحى عشان أخلص جدار الخطر.. متآخذنيش (يحاول نفض الغطاء عن نفسه)

يوسف: اعمل معروف.. كمل نومك.. ساعتين بس.. الشغل سخن في إيدي..

جسد المؤلف النائم: طب أخش الحمام الله؟.. مزنوق يا جدع.. مزنوق في الواقع!

يوسف: هو ده الواقع عندك؟ عشان خاطري.. احنا صحاب من زمان.. ساعتين بس ابقي اعمل بعدها اللي أنت عاوزه (ينظر للشباك بقلق).. كمل نومك ربنا يهديك.. وخلي جدار الخطر لبكره (يغني له بهدوء بعد أن يجلس قربه يربت على رأسه) ننه هو.. يا حبيبة.. يا حبيبة.. ننه هو.. (يصدر شخير من الجسد)..

جسد المؤلف: (يغمغم أثناء نومه) للناس عوض.. وأنا عوضين.. النص عندي بقى نصين..

يوسف: (مفزوعًا يضاعف من هدهدته) ننه هو

جسد المؤلف: (الكلمات متقطعة بفواصل زمنية) عجمية.. عقيد.. عصابة..

المؤلف: ننه.. هووه.. يا حبيبة .. يا حبيبة..

الجسد: (يزووم وشخير ويمط الكلمات) صراع بين القلب والعقل (بصوت ناعس) عذاب بين الـ ـ ضمـ ـ يـ ـر والقـ ا ن ـ ون.. مم

يوسف: هووه.. سوسه سوسه كف عروسه.. هوووه..

(اللحن المميز لحدوته بلون الشاي يأتي ضعيفًا كخلفية)

يوسف: (ينظر إلى الشباك ويرى النور يشتد يتجه إلى المكتب) لازم أسرع شوية.. قبل النور ما يطلع وأضطر أصحى.. ويتبخر الحلم الجميل (يشرع في الكتابة فيضاء الجانب الأيمن لنرى شريفة وفوزي يتمشيان إما قرب سور مدرسة أو في نفس المكان السابق أو مباشرة تحت الجبل يفترشان الأرض ويأكلان حسب إمكانيات المخرج)

شريفة: مش ح تصدق يا فوزي.. النهاردة في المدرسة طلعت لي بنت صغيرة رفعت صباعها تسألني: هم يا أبله ليه الممثلين لما بيطلعوا في الأفلام بياكلوا بعض؟

فوزي: (مندهشًا) بيآكلوا بعض؟ إزاي؟

شريفة: عارف طلع قصدها إيه؟

فوزي: إيه؟

شريفة: بيتهيألها إن هم لما بيبوسوا بعض.. بيآكلوا بعض!

فوزي: وقلت لها إيه؟

شريفة: قلت لها بزعيق دي حاجات ح تفهميها لما تكبري، وأنا بيني وبين نفسي ميتة على روحي م الضحك.. خيال الأطفال غريب قوي..

فوزي: ما قلت لهاش إنهم بيحبوا بعض ليه؟ وأن الحب ده أجمل حاجة في الدنيا..

شريفة: صحيح يا فوزي؟

فوزي: طبعًا.. أنا مثلاً ما ليش حياة من غيرك.. آخر حاجة بأغمض عليها عيني عنيكي.. آخر حاجة أغمض عليها ودني صوتك.. آخر حاجة أغمض عليها قلبي حبك..

شريفة: يعني أنت مستعد تعمل أي حاجة عشاني؟

فوزي: جربي واطلبي أي حاجة

شريفة: (بعد لحظة صمت وتفكير) طيب أنا.. أنا قلت لعمي الجارحي إني مستعدة أكتب له الأرض بتاعتي كلها باسمه.. بس يسيبنا نتجوز

فوزي: (باهتمام) قال لك إيه؟

شريفة: (بيأس) قعد يزعق لي هو وحلمي ابنه، عمل لي موشح، هو أنا بتاع أرض؟ هو أنا حاجزك عشان أرضك؟ ده انت زي بنتي وأنا اللي مربيك بعد أبوك..

فوزي: (يلقي بحجر كان بيده على الأرض) عم الجارحي عمره ما ح يرضى بالجوازة دي.. هو عاوزك لإبنه حلمي.. أو تفضلي كده.. عشان الأرض تفضل له.. ده يموت ولا يسيبهاش.. متهيأ له إن دي اللي عامله له قيمة في البلد..

شريفة: (تمسك يديه بين يديها وبحزم) إسمع يا فوزي.. أنا فكرت كتير.. الشهرين اللي فاتوا دول كلهم وأنا بافكر.. أحنا ما لناش قعاد في البلد دي.. مالناش غير ان احنا نسيب البلد دي ونمشي..

فوزي: نروح فين؟

شريفة: نروح مصر..

فوزي: أنت عارفة عمك وحلمي إبنه.. دول كانوا يفضلوا عمرهم كله يدوروا علينا..

شريفة: مصر كبيرة.. هم ح يلاقونا فين؟

فوزي: مصر كبيرة صحيح.. بس ضيقة على الفقير.. نروح ندور على سكن بكام.. ونشتغل فين؟ ونعيش بإيه؟

شريفة: (تقف بغضب ويتبعها هو الآخر واقفًا) إمال عاجبك حالنا ده؟ ح نفضل كده طول عمرنا؟ أنا مش فاهمة عاجبك إيه في دنفيق الحاجر دي؟ الأرض اللي بتملح كل يوم وما حدش بيلحق يقطف منها وردة؟ ولا العيال اللي بتموت كل شوية؟ ولا الجبل اللي زي الغولة قافل علينا سكة المية؟ مش أنت لسه قايل لي إنك مستعد تعمل أي حاجة عشاني؟ قول إنك ما بتحبنيش.. أو خايف من أهلي..

فوزي: (كالمستسلم لمنطقها) أنت اللي يحبك ما يخافش.. أنت حبك شجاعة.. بس خلينا الأول نحاول بالعقل بهدوء.. إديني فرصة أقابل عم الجارحي مرة تانية (صمت) وبعدها..

شريفة: (تقاطعه كالباكية الصارخة) قصدك مرة خامسة.. مرة سابعة.. مرة ميه..

فوزي: المرة دي ح أقابله أنا ورجالة م البلد.. وافق كان بها.. حكم رآسه.. يبقي نمشي.. وساعتها نقول رب هنا رب هناك..

شريفة: (بفرح) ياريت يا فوزي.. نفسي الحكاية دي تخلص.. (تضع رأسها على صدره وهي تتلفت حولها خشية أن يراها أحد)

فوزي: والله ما أنت عارفه.. أنا عشانك أعمل أي حاجة، وكل حاجة!

(من بعيد اللحن المميز الأساسي: حدوتة بلون الشاي. إظلام حيث يقف فوزي وشريفة، وانتقال إلى حيث يوسف)

يوسف: (يفرك يديه سعيدًا) العيال بيحبوا بعض قوي.. الله ينور يا أبو حجاج.. الحكاية عاوزها لها سيجارة.. (يمسك أمامه بعلبة سجائر فارغة يطويها ويرميها. ينظر إلى جسد المؤلف النائم) معاكش سيجارة؟ (صمت) يا باي.. دا أنت بخيل بخل.. (يتجه إليه ويقلب جيوبه ويخرج منه أوراقًا يقرأها ويرميها) إيه ده؟ فاتورة كهرباء؟ وده إنذار من شركة التكييف؟ وإيه ده؟ يخرب عقلك! جواب من فاصوليا.. الصغيرة اللذيذة؟ يا لئيم؟ يعني بتخون بامية وعامل لي فيها مستقيم؟ (يفتش جيبًا آخر) آهي علبة السجاير آهي.. (يشعل سيجارة ويعاود الكتابة)

(يضاء المشهد هناك لنرى دوار فلاحين وكنب يجلس فوزي ومعه فلاحان من القرية هما خليفة والمصيلحي، وثالث عجوز خرف هو عم عبد الحكم جالس على الأرض قربهم معتمدًا على عصا سمعه ثقيل، وأعمش لا يكاد يرى، على الكنبة المقابلة يجلس الجارحي عم شريفة وحلمي إبنه، خادمة تمر بينهم بصينية شاي، (حبذا لو مرت دجاجة فإذا عطلت المشهد يمكن للجارحي أن ينادي الخادمة لأخذها)

خليفة: (وهو يحتسي الشاي) قلت إيه يابا الجارحي؟

الجارحي: قلت لا إله إلا الله..

مصيلحي: محمد رسول الله..

خليفة: ح نقعد طول الليل نقول لا إله إلا الله؟ ما تقول كلمة يا أخي.. فوزي ما يتعايبش.. والجدع غرضه شريف وجاي لك من الباب..

حلمي: الحكاية مش حكاية باب ولا شباك

عبد الحكم العجوز: (لمصيلحي) إيه العبارة؟

مصيلحي: استنني أنت يا عم عبد الحكم..

عم عبد الحكم: (بزعيق للجارحي) إن كان عندك باب ولا شباك مخلع نشيع للواد مسعد النجار ييجي هوا؟

الجارحي: نقطنا بسكاتك ياعبد الحكم..

عم عبد الحكم: أنت حر.. بس الصراحة مسعد عمره ما بيقول لا.. وشغله نضيف..

فوزي: إمال الحكاية إيه يا عم الجارحي؟

الجارحي: يا ابني الكلام ده قلناه بدل المرة عشرة.. أنت جدع كويس لكن الحق ما يزعلش..

عم عبد الحكم: (تقريبًا لنفسه) هو فيه زي مسعد؟.. وبعدين بيرضي بقليله.. إديته حتة بخمسة ماشي.. حتة بعشرة ماشي.. ياسلام عليك يا واد يا مسعد!

خليفة: (للجارحي) ما تقول أنك ناوي تقعد البت جنبك على طول؟

الجارحي: أنا ما أعارضش في مصحلتها.. لو عدلها جالها نقول لاء ليه؟

حلمي: (بنزفرة) أحنا اللي نقوله نعيده؟

مصيلحي: لا إله إلا الله..

عم عبد الحكم: (مبربشًا في وجه مصيلحي) مش مسعد هو اللي عمل الموبيليا بتاعة أمك؟ بذمتك شغله وحش؟..

خليفة: بصراحة يا جارحي عيب نيجي لك خمس مرات وتردنا..

الجارحي: كل شيء بالخناق إلا الجواز بالاتفاق..

خليفة: (يقف غاضبًا) يعني تدبل شباب البنت عشان حتة أرض مالحة؟

حلمي: (يصرخ) خلي بالك من كلامك يا مصيلحي..

فوزي: (يهدئ خليفة) بالراحة يا عم خليفة..

عم عبد الحكم: (لنفسه كمن يتذكر) دا الواد مسعد ده كان عامل لامؤاخذة كنيف لخالتي أم بدر.. يقعد عليه عشر رجاله ما يقعش.. وضربه لون له العجب.. الله يرحمك يا أم بدر!

الجارحي: (لعبد الحكم) أنت بتخرف بتقول إيه ياجدع أنت؟ (ولحلمي) أخرج أنت يا حلمي.. أنا باعرف أتكلم.. مش ناقص حد يساعدني.. إخرج..

(حلمي يغادر المكان بعصبية)

عبد الحكم: (في أثره) لو شفت الواد مسعد في سكتك شيعه لنا.. خلينا نحل المشكل اللي هنا سوا باب أو شباك.. هو عارف شغله..

الجارحي: يا حلمي (يعود حلمي قبل أن يختفي) (الجارحي يشير إلى عبد الحكم) خد الراجل المعتوه ده من هنا.. (فوزي يعاون عبد الحكم على النهوض ويساعده على الخروج مع حلمي).

عبد الحكم: (في طريقه للخروج) ماله مسعد؟ هو فيه أطيب من مسعد ولا أحسن من شغله؟ هاتوا لكوا بقى واحد من البندر، خليه يلسعكوا في المصنعية.. الله يرحمك يا أم بدر! (يخرج مع حلمي)

الجارحي: عيب يا خليفة الكلام اللي أنت قلته..

الفلاح 2: لا إله إلا الله..

فوزي: ما تزعلش يا عم الجارحي

خليفة: ده مش أول يوم نعرف بعض فيه يا جارحي

الجارحي: قصدك إيه يعني؟

خليفة: قصدي إن الحكاية ما تستاهلش..

الجارحي: أنت ح ترجع تلخبط تاني؟

خليفة: هو اللي يقول الحق يبقي بيلخبط؟ أنت ما انتش شايف الأرض المشققة قدامك ما بتطرحشي عود أخضر.. ح تعمل بيها إيه؟ ولا العيال اللي بتفطس كل يوم؟

الجارحي: (بزعيق) يعني زعلان قوي ع البلد وع الأرض ياسي خليفة؟

خليفة: وما أزعلشي ليه.. مش بلدنا؟

الجارحي: (بحزم مفاجئ) طيب أنا موافق.. خلي فوزي يتجوز شريفة!

مصيلحي: لا إله إلا الله

فوزي: (ينهض غير مصدق من الفرحة) إيه؟ موافق؟ معقول؟

الجارحي: (يرده بإشارة من يده ليجلس ثانية) بس بشرط..

فوزي: كل اللي تؤمر بيه..

الجارحي: ما دام بقه قلبكم على أرض شريفة وع البلد.. احفر لها نفق في الجبل.. يوصل ميه النيل للبلد..

فوزي: (مذهولاً) نفق؟..

الجارحي: مش قاعدين فاتحين لي مناحة ع البلد؟ النفق مهر شريفة.. إن كنت عاوزها.. والميه خير ح يعم ع الكل..

فوزي: (بحزم) وأنا قبلت

خليفة: (لفوزي بإشفاق) قبلت إيه يا إبني؟ أنت عارف بيقول لك كده ليه؟

فوزي: أنا عشان شريفة أحفر ميت نفق.. وأفني عمري في الصخر

الجارحي: أنت عارف الصخر هناك شكله إيه؟ عارف إنه ما يخليش غير نفر واحد يشتغل؟ نفر واحد إللي يقدر يعدي ويشتغل؟

فوزي: وأنا عند كلامي..

الجارحي: ساعتها شريفة تبقي حلالك!

خليفة: كلام إيه ده يا جارحي؟ يعني اللي الناس كلها ما قدرتش عليه يقدر عليه فوزي لوحده؟

الجارحي: مش عاوز يا خدها؟ مش بيحبها؟ مش عاوزها تبقى مراته؟ يحيي لها الأرض بتاعتها..

عجوز 1: أنت مش باكي على الأرض.. أنت عاوز تعجزه.. وتقطمه وخلاص

الجارحي: (ينهض مغادرًا) أنا قلت اللي عندي (يتحرك ليخرج)

مصيلحي: لا إله إلا الله.

(الجارحي قبل خروجه ينفرد بحلمي إبنه في ركن ويتهامسان)

حلمي: إزاي يا با توافقه ولو حتى بشرط؟

الجارحي: ربنا يحييني ويحييك يا حلمي.. ونبقي نشوف النفق!

(يخرج الجارحي وإبنه)

خليفة: (لفوزي بأسى) يا ابني ده مستحيل.. حاجة زي دي تاخد لها عشرة ولا عشرين سنة..

فوزي: هو لوكان شرط أي شرط. أنا برضه موافق.. لو قال لي إرم نفسك في البحر.. في النار.. المهم إنه وافق..

خليفة: ده عمر تاني يا فوزي.. أنت ضامن إيه يجرى السنين دي كلها؟

فوزي: أنا وافقت وح أحفر النفق.. ليل نهار.. ح أشتغل فيه زي الوحش.. وخلى الخير يعم..

خليفة: لو الصخر اللي هناك يفوت أكتر من واحد يشتغل.. كنت جيت معاك يا إبني..

فوزي: ربنا يكرمك يا عم خليفة.. أنت كتر خيرك لغاية كده.. دي معركتي أنا مع الجبل!

خليفة: صحيح يا ولدي الحب يعمل المعجزات يا فوزي! (يربت على كتفه) لو احتاجت حاجة.. أي حاجة.. أنت عارف طريق بيتي!

خليفة: (وهو خارج) والله زمان يا بلد!

(تدخل شريفة تمضي نحو فوزي، يمسك بيدها)

شريفة: ليه وافقت على كده؟ ده موت يا فوزي!

فوزي: عشانك.. مش أنت اللي سألتيني: مستعد تعمل أي حاجة عشاني؟ ده جوابي: أيوه.. مستعد أعمل أي حاجة، ولو أصارع الديابة والوحوش.. وحناني وشوقي ليك ح يفتت الجبل.

شريفة: (بإحساس بالفجيعة) لكن.. السنين ح تجري.. و تآكل شبابنا..

فوزي: أنا متأكد أنك ح تستنيني.. وتفضلي معايا..

شريفة: أنا أستنى.. أنا ح أستنى.. لكن السنين مش ح تستني.. أنا هنا.. وأنت هناك في الجبل.. لحد امتى ح نفضل كده؟

فوزي: اللي احنا عارفينه دلوقت شيء واحد، الحب اللي ربط بيننا، وعشان الحب ده لازم نعمل أي حاجة..

(شريفة تنظر إليه كأنما تودعه، وتخرج مهرولة. فوزي يتابعها ببصره، ثم يذرع المكان مفكرًا مترددًا، ثم يتوقف)

فوزي: يمكن شريفة عندها حق؟ إزاي أقبل إني أضيع شبابي وشبابها في الجبل؟ إزاي وافقت الجارحي على حاجة زي دي؟

(تدخل مجموعة صغيرة من الفلاحين والأمهات حاملات أطفالهن)

فلاحة 1: (بانبهار) صحيح يا فوزي اللي سمعناه؟ ح تفحت للميه تيجي البلد؟

طفل: (يجذب فوزي من طرف ذراعه) ياعم فوزي.. صحيح اللي بيقولوه.. صحيح الميه ح تيجي بكره؟ يا عم فوزي؟

فلاح عجوز: نهارنا أبيض.. ح تقدر ع الجبل لوحدك؟ ده عاوز ميت راجل؟ نارنا أبيض زي الفل..

فلاحة 2: وهو فوزي قليل؟ فوزي سيد الرجالة.. ندرن علي أجيب لك كل يوم العشا لحد عندك.. (تطلق زغروطة)

الطفل: ح تقدر ع الجبل يا عم فوزي؟..

فوزي: (كالمأخوذ) طبعًا.. ح أقدر.. ما أقدرش ليه؟..

الطفل: أنت بطل يا عم فوزي.. (يشب ناحية فوزي ليقبله، ترفعه أمه يقبل فوزي في وجنته ويقبله فوزي)..

(زغاريد وفلاحون وأطفال يأتون ويلتفون حول فوزي يربتون عليه)

فوزي: (هامسًا لنفسه) صحيح تقدر يا فوزي؟ الله وما أقدرش ليه؟

(يظهر كورس المنشدين مقسمًا لمجموعتين صغيرتين والفلاحون من حولهم وفوزي واقفًا ينصت مأخوذًا كالمسحور)

(مجموعة 1):

فوزي بيعرق.. لجل شريفة

لجل ما تشرب ميه نضيفة

لجل القلب أبو رعشة عفيفة

يضم حبيبته في نني عنيه!

(مجموعة 2):

فوزي دراعه عفية.. قوية

يهد الصخرة.. تسيل الميه

فوزي دراعه جعله الفاس

لجل ما يسقي.. كل الناس

(إظلام حيث فوزي، وإضاءة خفيفة على يوسف الذي يدخن بشراهة ويكتب كأنه محموم ويلقي بالأوراق بسرعة إل ى الأرض ورقة بعد أخرى. إظلام تدريجي وإضاءة في الجانب الآخر، نرى شريفة وحدها في غرفة بدار ريفية، شباك مفتوح، كنبة، ومقاعد، شريفة جالسة إل ى منضدة منكبة على تصحيح كراسات تلاميذ. الواضح أنها كبرت قليلاً. سعدية بنت ريفية صغيرة في نحو العشرين تعمل في بيت الجارحي تفترش الأرض وتطرز مفرشًا)

سعدية: (ترفع المفرش لأعلى نحو شريفة) بصي يا ست شريفة؟ شوفي؟ مش حلو بذمتك؟

شريفة: (ترفع رأسها ملقية بنظرة سريعة، تتنهد وبصوت فارقته البهجة والحيوية) ولمين ده؟

سعدية: (تنهض مقتربة منها) يا خبر أبيض.. عشانك ياست.. يوم ما نفرح بيك أنت وسي فوزي.. ده البلد كلها مستنية اليوم ده..

شريفة: (تنهض وقد تقف قرب الشباك عاقدة ذراعيها على صدرها) مستنية إيه؟

سعديه: الفرح..

شريفة: (بحركة غير واعية تتحسس شعر رأسها) البلد مستنية الفرح.. ولا مستنية المجرى اللي ح يدخلهم الميه ع الأرض.. ويخلي عيال البلد يشربوا ميه نضيفة.. والزرع والورد يملا الدنيا..

سعدية: (تزووم) ممم.. بقه ده كلام ده؟ صحيح الناس مالها ش كلام غير مجرى الميه جوه الجبل.. مستنيينه.. كأنه النور والبشارة.. لكن وكتاب الله لو تعرفي بيحبوكي قد إيه ومنى عينهم فرحك يكون النهارده قبل بكره..

شريفة: (بتساءل وتهكم مرير خفيف) بكرة؟.. بكره ده فات من خمس سنين يا سعديه.. وفوزي كل يوم وكل ساعة بيحفر في بطن الجبل.. كأن دي البطن اللي ح تجيب له إبنه!

سعديه: (بلهفة) والناس تدعي له.. وتقول إلهي يتمم شغله بالتوفيق..

شريفة: بيشق الصخر ليل نهار وحواليه المشاعل..

سعديه: والناس تقول يارب سهلها له..

شريفة: بيقعد بالتلات والأربع تيام يشتغل من غير ما يآكل ولا يشرب ولا ينام.. فوزي عشق الجبل!

سعدية: (بحلم ورجاء) إيه يا ختى الكلام ده؟ جبل إيه وبتاع إيه؟ ده كل للي بيعمله عشان شاريك وبيحبك.. أنت لو تسمعي الناس بيقولوا عنه إيه؟ حاجات ولا أبو زيد الهلالي..

شريفة: (ملتفتة إليها وبحدة) بس أنا باكبر.. يوم بعد يوم.. سنة بعد سنة.. يجف عودي.. خمس سنين بيجف عودي وعطري بيروح.. وما حدش عارف لسه ح أستنى قد إيه؟ عشر سنين.. عشرين؟ (تقريبًا تتحسس وجهها وجسدها بحركة خفيفة جدًا) وأنا بأصفر و أدبل..

سعديه: (بأمل) فشر.. تدبلي إيه؟ وكتاب الله بنات البلد كلها بتقول يا سعدها اللي تلقي حد يحبها كده.. ده ولا في السيما..

(تدخل أم أحمد وهي امرأة عجوز تحمل قفة بها أكل. تلتفت الاثنتان إليها)

سعدية: خير يا أم أحمد..

المرأة: فضلة خيرك دي حاجة بسيطة لسي فوزي.. (تضع القفة على الأرض) شوية فطير وجبنة قريش (لشريفة) والنبي ياست شريفة أول طلعة ليك الجبل تآخديهم له معاك.. قولي له أم أحمد بتدعي لك (تشرع في الانصراف)

شريفة: (تهز رأسها) ماشي..

سعدية: (بفرح) شفت؟ كل يوم الناس يجيبوا له أكل ويبعتوا له مراسيل وحاجات.. وأول إمبارح محمود السيلي جارنا مرته جابت له ولد.. سماه فوزي، وحالف لو جت له بنت يسميها شريفة. (لحظة صمت) مالك؟ أنت مش مبسوطة ولا إيه؟

شريفة: (بحزن تقريبًا) مبسوطة يا سعدية.. مبسوطة.. بس قلبي شقق م العطش زي الأرض.. حب الناس حاجة جميلة.. بس أنا عاوزه أحس براسه على صدري، أحس بإيده التقيلة على كتفي.. عاوزه أقضي معاه يومين بحالهم.. بس أبص في عنيه ووشه.. أنا وهو بس.. لا جبل ولا بني آدمين ولا حاجة.. وحدنا..

سعدية: هانت.. هانت وكتاب الله..

شريفة: (تتطلع ببصرها بعيدًا. تمسد كتفها بيدها وتصبح أقرب إلى البكاء والانهيار) اقفلي الشباك يا سعدية.. أنا بردانة.. بردانة قوي (تنهار)

(تخفت الإضاءة هناك وتقوي عند يوسف)

يوسف: (كأنما يخاطب نفسه) صعبانة على شريفة..

جسد المؤلف النائم: (يتقلب في رقدته ويتساءل) شريفة مين؟

يوسف: (ينهره) اسكت أنت.. مالكش دعوة..

الجسد: (بضيق) الله.. لحد امتى كل ما أفتح بقى تقولي مالكش دعوة.. لاحظ أنا ما أقدرش أنام أكتر من كده.. ثم أنا ورايا شغل.. لازم أخلص التلات حلقات اللي فاضلين.. عشان أقبض أول دفعة.. يا إما يرحلوني على ميزانية السنة الجاية.. (يعتدل جالسًا) قوم من ع المكتب سيبني أشتغل..

يوسف: (دون أن ينظر إليه) خمسة..

الجسد: (يهجم على المكتب والأوراق) أنت إيه؟ لزقة بغراء؟ النهار ح يطلع والديانة ح يهجموا.. (يحاول زحزحة المؤلف من على الكرسي)

الجسد: كده؟ طيب قدامك قد إيه وتخلص؟

يوسف: حبة صغيرة ..

الجسد: ولو الديانة هلت؟

يوسف: مالكش دعوة.. اقعد ساكت هناك وبس (يعود يوسف إل ى الكتابة. الجسد يختار كتابًا من المكتبة ويجلس يتصفحه)

يوسف: (القلم بين أسنانه جالسًا إلى المكتب) معقول أسيب شريفة الجميلة اللطيفة دي تدبل؟.. هي عاوزة انسان من دم ولحم تحبه ويحبها يحط راسه ع المخده جنب راسها، تتمشي معاه بالليل، عاوزه انسان مش بطل.. وفوزي؟ فوزي برضه عاوزه إنسانة من لحم ودم.. ح ينفعه بإيه إن الناس كلها تقول فوزي بطل وشريفة جدعة.. شوف هي مستنياه بقي الها قد إيه؟.. (يقف ويذرع أرض الغرفة متحيرًا بغضب) والناس؟.. الناس هم اللي بيزقوا فوزي للوضع ده.. الناس عاوزين كده.. عشان البلد تخضر.. الناس مستعدين يضحوا بالاتنين دول.. لأنهم عارفين ما فيش حاجة بتحصل من غير تضحية..

(إظلام عند يوسف وإضاءة على الجانب الآخر. نسمع من بعيد اللحن المميز كخلفية ضعيفة. المشهد ساحة أمام جامع أو دار في بيت أحد الفلاحين. عدد من الفلاحين جالسين يشربون شاي وقت المغرب)

محمد: طب تصدق بإيه؟ الجمعة اللي فاتت جت عيلة من جهينة.. شوف بقى؟ تصدق؟ جت قال إيه سمعوا في بلدهم عن حكاية فوزي والجبل.. جايين عاوزين يسلموا عليه.. مهما كان برضه دنفيق الحاجر بقى لها شنة ورنة!

سويلم: وبعدين؟

محمد: خدتهم وطلعت بيهم على فوق، لقوه واقف زي الأسد، كل جسمه بيصب ميه، بقوا يبصوا له مش مصدقين إن بقي له عشر سنين بيحفر ويهد في الصخر عشان شريفة..

جاد الله: بصراحة أنا مش فاهم.. هو ح يجي له إيه من كل ده؟ ما هو اللي بيعمل ده برضه- ما تآخذنيش - قلة عقل..

محمد: لا الحب يعمل أكتر من كده.. طب تصدق بالله.. أنا لما كنت باشاغل فواكه أم عيالي قبل ما نتجوز يعني.. وكانت الحكاية لسه مجرد كلام ونظرات.. يعني حاجة في علم الغيب.. كانت إيه إذا طلبت مني أي حاجة ولو لبن العصفور.. أجيبها لها بأي شكل (يضحك) مرة قالت لي نفسها في فطير.. والوقت

ده ما كانش فيه ولا فطيرة في البلد.. النسوان كانوا باعوا الفطير كله في سوق الجمعة..

جادالله: (باشمئناط) إيه الحكاوى البايخة بتاعتك دي؟ فطيرة إيه وهباب إيه؟ أنت ح تعمل لي أبو زيد الهلالي بفطيرة مدودة؟.. قال فطيرة قال (يلتفت إليه) وماطلبتش منك كوز دره مشوي بالمرة؟ (يلوح بيده للآخر في قرف) إشرب شايك إشرب.. قال فطيرة قال!

محمد: أنا حبيت فواكه زي ما فوزي بيحب شريفة بالظبط، وربك اللي مطلع ع القلوب.. مش فاهم زعلان من كلامي ليه ياسي جاد الله؟

(ينهض واقفًا غاضبًا ينفض جلبابه)

سويلم: طب اقعد يا راجل اقعد.. حد يزعل من جاد الله؟ ده زي أخوك.. عيب إمال.. دا احنا ما شربناش غير دور شاي واحد..

(تظهر من داخل الدار امرأة تحمل صينية عليها أقداح شاي)

المرأة: أنت ماشي ولا إيه يا محمد؟

سويلم: زعلان من جاد الله.. عشان بيقول له (يستغرق في الضحك).. حواديتك بايخة.. زعل..

المرأة: يا راجل اقعد.. أنت في بيتك.. ده كلام..

(محمد يجلس ثانية وعلى وجهه علامات الغضب)

سويلم: أصل الكلام عن فوزي وشريفة.. وبدأ محمد في حكاية..

المرأة: (تقاطع سويلم) إلهي ينطس في نضره الجارحي عم شريفة.. البت وردة يا عيني.. كبرت ولونها اتخطف.. فارقتها الضحكة الحلوة.. زي ما تكون عجزت..

محمد: وهو الجارحي كان نابه إيه؟.. آهو ابنه حلمي فطس ما حدش حس بيه.. مات م الميه الوسخة زيه زي الفقرا والغلابة..

جاد الله: كان الله في عونك يا عم الجارحي.. الراجل يا عيني شعر رأسه شاب مرة واحدة.. غلبان والله..

المرأة: جزاء اللي عمله في شريفة.. ربك يمهل ولا يهمل..

سويلم: (مقاطعًا) حد يقول كلام زي ده.. تشمتي في مصايب الناس.. اجري يامره إجري.. خشي جوه أحسن..

محمد: بس برضه نرجع نقول لولا الجارحي ده.. ما كانش فوزي يحفر المجرى للبلد كلها.. ولا كانتش الحكاية دي بقت على كل لسان قبلي وبحري..

جاد الله: آهو ده اللي همك قوي.. إن الحكاية على كل لسان.. لكن تنتهي بإيه مش مهم.. اسكت يا سي محمد والنبي وأنت أصلك تحب الحواديت البايخة.

محمد: (ينهض نافضًا جلبابه) مش بقول لك.. أنا كلامي ما بينزلش لجاد اللع من زور..

(إظلام حيث مشهد الفلاحين. إضاءة على يوسف مستمر في الكتابة. الجسد ممدد يقرأ كتابًا)

صوت من الميكرفون: المرة دي أنا جايلك بس بمحضر: يا الدفع، يا الحجز..

الجسد: (منتفضًا يرمى الكتاب الذي بيده ويلطم صدغيه) الحق.. الديانة كبست.. سيبني أكتب شوية..

يوسف: (دون أن ينظر إليه) هس..

(يدخل رجل بجلباب، يوسف يكتب، الرجل يفرك سبابته وإبهامه إشارة إلى الفلوس، الجسد يلطم علامة على أنه مفلس، الرجل يتطلع فيما حوله، وينقض على المكتبة ينتزع ما بها من كتب ويخرج. يوسف منهمك في عمله. الجسد يلطم. اضاءة على الجانب الآخر. منظر رمزي يجسد الجبل بشكل أو آخر، فوزي – في سروال ضيق وفانلة تبرز عضلات يديه – في بطن الجبل داخل كهف صغير بيده مطرقة ضخمة، حوله أبسط مستلزمات العيش، بطانية مفروشة على الأرض، وابور جاز، أقداح، مشاعل، أطباق، أمامه كتلة صخرية صغيرة منهارة من صراعه معها. بدا الكبر على فوزي بفعل العشر سنوات التي انقضت، فوداه أبيضان، شعر رأسه أطول قليلاً مما تركناه، يجب أن نشعر بكتلة صخرية هائلة أمامه. فوزي يمسح عرق جبينه بيده ويقرر الإستراحة، مازال ممسكًا بالمطرقة يخاطب الصخرة)

فوزي: (فاردًا ذراعيه حتى نهايتهما ووجهه إلى الصخرة يخاطبها) تعبت يا صخرة؟ (بلهجة تقريرية) تعبت من المطرقة اللي في إيدي.. بس لسه مش عاوزه

تسلمي.. أنا كمان تعبت.. عشر سنين بنصارع بعض.. كل يوم آكل حتة من صخرك.. وأنت كل يوم تآكلي حتة من عمري.. عاوزه تستريحي شوية؟ (بلهجة باسمة) أنا كمان عاوز أستريح.. (يستدير ناحية الجمهور. يهز المطرقة العملاقة في يده ويخاطبها) أنت كمان تعبت؟ تعبت من كتر ما بتسخني على الحجر.. من الشرر اللي بيولع على جسمك.. من لحم الصخرة، ومني (يضع المطرقة على الأرض بإعتزاز ويربت عليها) استريحي (يفترش الأرض ويجلس ليأكل لقمة)

(بعد لحظات يدخل رجل في عباءة وعقال كالبدو، تتدلى من كتفه بندقية، هو غريب ليس من أهل القرية. يتلفت حوله مستغربًا)

الغريب: سلام عليكم..

فوزي: (يرفع رأسه) وعليكم السلام..

الغريب: أنت فوزي.. فوزي ماجد.. صح؟

فوزي: (يمد إليه يده بترحيب ويصافحه) تفضل استرح

الغريب: إيدك تقلت م الشغل.. بقت زي النحاس.. والحديد..

فوزي: اتفضل.. كل لقمة معايا..

الغريب: (يجلس) كتر خيرك أنا جاي لك من بعيد قوي في موضوع يهمك ولازم أرجع بلدنا ومعايا الرد

فوزي: خير.. اتكلم..

الغريب: حكايتك مع الجبل هي اللي خلت صيتك يوصل لحد عندنا.. اللي يقول بيحب.. واللي يقول نفسه الميه تجري للناس.. وكلام تاني كتير.. الناس بدأت تسأل عنك.. وعرفنا ولامؤاخذة إنك كنت بتدور من زمان عاوز تعرف مين أنت؟ مين أبوك؟ أصلك إيه؟..

فوزي: تمام..

الغريب: ظهر راجل كبير المقام والسن بيسأل عنك.. يمكن يكون أبوك..

فوزي: أبويا؟

الغريب: بس فيه شوية حاجات صغيرة كان عاوز يتأكد منها.. هو اللي شيعني عشان آخدك نروح له..

فوزي: (يقف سارحًا مع أفكاره) أبويا؟

الغريب: وليه مستغرب يا ابني.. كل نبتة ولها جدر.. وكل طير وله عش..

فوزي: أنا فعلاً كنت عاوز أعرف أنا مين.. مدة طويلة عذبتني المسألة دي.. لكن دلوقت خلاص..

الغريب: الراجل لو مش كبير وما يتحملش سفر كان جالك بنفسه.. وفيه حاجات ما حدش يقدر يقولها له غيرك..

فوزي: مش ده الموضوع.. أنا مش زعلان منه.. يمكن يكون أبويا فعلاً.. ويمكن ما يكونش.. مش ده الموضوع.. سلم عليه وقول له ربنا يدي له الصحة وطولة العمر.. لكن أنا خلاص.. هنا جوه الجبل عرفت أنا مين..

الغريب: عرفت أنت مين..؟ إزاي؟

فوزي: (يشير الى الصخر) الصخر ده خلاني أفهم إن الإنسان ما بيعرفش نفسه غير في الحاضر.. في اللي بيعمله.. مش في الماضي..

الغريب: لكن يا ابني..

فوزي: أنت عملت اللي عليك و كتر خيرك..

الغريب: (يظل واقفًا لحظات لا يدري أينصرف أم لا) طيب يا ابني.. سلام عليكم.. (يلتفت قبل أن ينصرف) على فكرة الناس كلها في بلدنا تسلم عليك

فوزي: الله يسلمك ويسلمهم.. (مبتسمًا قليلاً كالمعتذر فاتحًا ذراعيه إشارة ال ى صعوبة الظروف المحيطة) متآخذنيش ماقمتش معاك بواجب الضيافة؟ (يلوح له بيده) مع السلامة..

الغريب: (منصرفًا) الله يسلمك.

(يجلس فوزي من جديد، يمسك ذقنه بيده مفكرًا وحده في صمت للحظات. تظهر شريفة عند مدخل الكهف في بطن الجبل، وقد كبرت في السن، بيدها باقة زهور، تنظر إلى فوزي الذي يفيق من خواطره على وجودها)

فوزي: (مبهورًا يلقي بالفأس) شريفة؟

(يندفعان إلى احتضان بعضهما الآخر، ثم يتباعدان، ويتأمل كل منهما الآخر)

شريفة: فوزي.. فوزي (تتسع ابتسامتها)

فوزي: عمك سمح لك إنك تيجي؟

شريفة: (تهز رأسها بصمت أن نعم)

فوزي: أنا مش مصدق إني شايفك قدامي..

(شريفة تبكي في صمت وهي ترتجف)

فوزي: (يحيطها بيديه) مالك؟ مالك؟ بتعيطي ليه؟

شريفة: م الفرحة.. (على وجه فوزي تعبير من لا يفهم) عمي سمح لنا نتجوز خلاص..

فوزي: معقول؟ بعد عشر سنين؟ (شريفة تهز رأسها أن نعم) ليه ماله؟

شريفة: (تطرق برأسها للحظة) عمي اتغير كتير بعد ابنه حلمي ما توفي.. وهو كمان كبر وتعبان قوي.. نده لي بعد ما دفنا حلمي وقعد يبوس في رآسي وإديدي ويبكي ويقول لي سامحيني يا بنتي.. (تهز الورد بيدها ضاحكة مرة أخرى) على كل حال.. الحكاية خلصت.. واحنا بقينا لبعض يا فوزي

فوزي: (يشد على ذراعها) احنا طول عمرنا لبعض.. من أول يوم شفتك فيه.. تعالي (يجذبها برفق) أوريك عملت قد إيه.. شوفي (يشير للفأس) دي الفاس بتاعتي

شريفة: (تمسك بالفأس لا تستطيع رفعها) تقيلة قوي..

فوزي: ورا الصخرة دي الميه النضيفة.. (يضع أذنه على الصخر) حطي ودنك.. اسمعي..

شريفة (تلصق أذنيها) مش سامعه حاجة..

فوزي: عشان جاية م البلد والدوشة لسه في ودانك.. أنا كل يوم بالليل بقعد أتصنت على صوت الميه.. أتخيلها لما أفتح المجر ى وهي بتندفع.. والورد يتبدر في كل ناحية والغيطان تخضر

شريفة: بس أنت شكلك تعبان يا فوزي..

فوزي: لا أبدًا.. ده بس عشان بأشتغل كتير.. ما نمتش كفاية اليومين اللي فاتوا..

شريفة: (بتردد) وأنا.. شكلي إيه؟

فوزي: زي القمر.. مفيش في العالم واحدة أجمل منك..

شريفة: يبقي أنت مش شايف التجاعيد اللي ف قورتي.. عشر سنين مش قليل.. (تجذبه من ذراعه) يللا بينا يا فوزي.. أنا مش عاوزه أفضل هنا ولا دقيقة واحدة.. يللا..

فوزي: (بنوع من الكآبة) شريفة

شريفة: مالك؟ بتتكلم كده ليه؟

فوزي: أنا بقالي زمن طويل بأحفر الصخر.. وورا الصخر ده كانت دايمًا عينيك بتلمع.. ومليانة محبة وحنان..

شريفة: (بحذرة) تقصد إيه؟

فوزي: لما المية تجري ماعادش أهل البلد يمرضوا.. وما عادوش يقفوا قدام بيوتهم يبكوا على عيالهم الصغيرين..

شريفة: (ما بين الفزع والذهول) أنت مش عاوز تيجي معاي؟ مش عاوز نبقي لبعض؟ أنا كبرت.. مش كده؟ (تتحسس خديها) عجزت؟ قولها بصراحة.. قول إن أنا عجزت.. وإن عمرنا راح هدر..

فوزي: لا يا شريفة.. أنا بس أنا فاضل لي شوية صغيرة وخلاص.. شوفي قد إيه؟ مسافة صغيرة.. الناس بتيجي كل يوم تقول لي شد حيلك.. اجمد.. خليك حديد.. اسمك في كل بيت زي الأمل.. فاضل بس الصخرة الكبيرة دي.. وبعدها.. وبعدها..

شريفة: (تغطي وجهها بيديها وبصوت باك) دي تآخد منك قد إيه كمان؟ سنة؟ سنتين؟ عشرة..؟ عشرين؟ ما بتردش ليه؟.. لأنك مش عارف..

فوزي: أرجوك ما تعيطيش.. أنا محتاج أشوفك وأنت بتضحكي..

شريفة: أنت ما عدتش محتاجني.. ماعدتش بتحبني..

فوزي: ماتقوليش كده أبدًا.. أنت دايمًا جواي، روحي بتشرب من صورتك، وكل ما تطير حتة من الصخر أشوفك قدامي بتبتسمي.. وتقولي لي هانت.. إجمد.. خليك حديد..

شريفة: إذا ما جتش معايا دلوقت.. يبقي خلاص.. أرجوك إن كنت بتحبني.. إن كنت عاوزنا نلحق يومين من عمرنا.. من شبابنا (برجاء) تعالي (تنهار باكية) أرجوك يافوزي..

فوزي: أرجوك.. ما فاضلش غير حاجة بسيطة..

شريفة: (بعد لحظة صمت) الجبل أصبح حياتك كلها.. خلاص.. أنت ح تفضل معاه وأنا ح أكبر هناك لوحدي.. (تفرد يديها) لما ورد شفايفي يدبل.. وعودي ينحني.. (صمت) خدني في حضنك مرة.. مرة واحدة يا فوزي (تندفع إل ى صدره. يحتضنها، ثم تفلت من بين ذراعيه خارجة مندفعة)

فوزي: شريفة.. شريفة

(إعتام. فوزي ينهض متثاقلاً. يذرع المكان. ثم يمسك بالمطرقة ويعاود ضرب الصخرة ببطء ثم بتسارع وقوة وعلى إيقاع ضرباته تتردد الأغنية التالية)

أغنية كورس

(مجموعة 1):

فوزي بيعرق.. لجل شريفة

لجل ما تشرب ميه نضيفة

لجل القلب أبو رعشة عفيفة

يضم حبيبته في نني عنيه!

(مجموعة 2):

فوزي دراعه عفية.. قوية

يهد الصخرة.. تسيل الميه

فوزي دراعه جعله الفاس

لجل ما يسقي.. كل الناس

(انتقال بالضوء إلى يوسف، بدن المؤلف جالسًا خلف يوسف وقد أسند وجنته إلى قبضة يده في وضع اليائس)

يوسف: (جالسًا أمام الأوراق محدثًا نفسه وهو يعود بظهره إل   ى الخلف) جميل.. جميل.. فوزي في الجبل.. بيخوض معركته.. بيلقى نفسه في الصراع مع الحاضر.. وشريفة؟ شريفة؟! قلبها مليان دموع؟ طب وبعدين؟ وبعدين.. صحيح الكتابة برضه عمل شاق. وأحيانًا الكاتب بيلقى صخر قدامه.. وبعدين؟ بعد كده فيه إيه؟

(إعتام عند يوسف وانتقال إل ى فوزي في الجبل جالسًا مفترشًا الأرض يأكل لقمة. نسمع دبيب خطى ويدخل خالد الصديق القديم لفوزي وقد بدا عليه الكبر هو الآخر)

فوزي: (وجهه يتهلل عند رؤية خالد) خالد؟

خالد: إمال فاكر ح أنساك؟

(يتعانقان بحرارة)

فوزي: معقول؟ خمس سنين ما أشوفكش؟

خالد: وحد كان يصدق إنك تقعد هنا عشر سنين؟

فوزي: إزيك؟ وحشتني جدًا.. احكي لي أخبارك إيه، وأخبار على ومؤنس وسعيد

خالد: طب نقعد؟

فوزي: (مرتبكًا) لا مؤاخذة

(يجلسان)

خالد: على يا سيدي سافر أفغانستان وبعدها أخباره اختفت.. ناس بيقولوا مات هناك، وناس بيقولوا سافر على السعودية، مؤنس زي ما هو، ماسك في حكاية الفراعنة، سعيد كبر قوي في الصحافة وبقي رئيس قسم في مركز أبحاث.. وأنا زي ما أنت شايف.. كل ما توحشني.. آجيلك.

فوزي: (يربت على كتفه) مش مصدق إني شايفك.. معقول؟

خالد: مش معقول ليه.. الصداقة الحقيقية بتكبر ببطء، لكن ما تنكسرش..

فوزي: عندك حق..

خالد: ولسه.. (صمت) ما فيش جديد بالنسبة لشريفة؟

فوزي: (يهز رأسه) لا..

خالد: نسيتها ولا إيه؟

فوزي: أنا؟ (باستنكار) أنساها؟! أنسى نفسي ولا أنسى شريفة لحظة

خالد: يعني.. كان ممكن تعمل محاولة تانية.. لما مات ابن عمها حلمي.. دي كانت فرصة كويسة ولسه قدامك..

فوزي: أنا عارف إن السؤال ده في بال ناس كتير.. لكن خليني أسالك: تفتكر أني مش عاوز أتهنى بحياتي مع شريفة وبحبي لها؟

خالد: بيتهيألي إنك عاوز طبعًا..

فوزي: طيب..

خالد: طيب إيه؟ أنا اللي بأسألك، لو كده ما قمتش ليه بالخطوة الضرورية لكده؟

فوزي: كان ممكن أعمل كده.. وجايز كانت الخطوة دي سهلة.. حتى سهلة جدًا.. لكن قبل مايبتدي الفلاحين يجوني ومعاهم أطفالهم، وهم شايلين لي أكل وشاي وميه، قبل ما يبصوا على الصخر ويسألوني بأمل: إمتى تخلص؟، كان ممكن قبل ما تنتشر الأغاني عن الجبل.. قبل ما أسمع بوداني دعوات الأمهات "ربنا ينصرك، إجمد، استحمل، اصبر، كمل". دلوقت ما فاضلش غير حاجة بسيطة.. أسيب كل ده؟

خالد: وشريفة؟ شريفة تعمل إيه؟ خليني أقول لك حاجة يا فوزي وأنت أدرى باعتزازي بك وبصداقتنا، سنين طويلة مرت، اتغيرت الناس خلالها، واتغيرت حاجات كتير..

فوزي: تقصد إيه مش فاهم؟

خالد: أقصد إن دورك إنك تفتح الطريق، لكن الناس هم اللي بيمشوا فيه، هم اللي بيعملوا المسيرة، دورك إنك تغرس البذرة، لكن أنت ما تقدرش تكبر بدل الشجرة، لازم الناس يوصلوا للميه العذبة بإيديهم، لأن اللي الناس بتعمله وتتعب فيه ما حدش يقدر يآخده منهم أبدًا..

فوزي: وهو أنا عطلت حد يعمل اللي عاوزه؟

خالد: لاء.. أنت كتبت النغمة الأولى، دلوقت لازم الناس هي اللي تغني النشيد.. عشان يعيش.. ويبقى نشيدهم فعلاً.. عشان يدافعوا عنه إذا حد حاول يبوظه، يزوره، يبدله..

فوزي: قصدك إيه بالكلام ده كله؟

خالد: قصدي أن أهل البلد لازم يشاركوا في حفر النفق، مش بس عشان أنت تستريح، وترتبط بشريفة، ولكن كمان لأن ده ضروري للناس..

فوزي: لكن الناس نفسهم سكتوا لما بدأت أعمل ده لوحدى، وبعضهم كان بيلومني، يقول لي إزاي تقبل بشيء زي كده؟

خالد: لأنهم كانوا فاكرين إن الانتصار على الجبل مستحيل.. لغاية ما أثبت لهم أنت العكس.. أنا جيت لك دلوقت عشان أقول لك إني قابلت مجموعة من شباب البلد، وأنهم رتبوا جدول شغل، بحيث ييجوا واحد ورا التاني، وإذا حبيت ممكن يشتغلوا تحت إشرافك.. بشرط أنك تستريح، وإننا نحتفل بكتب كتابك على شريفة، ونتبسط بيكوا..

فوزي: (مترددًا) تفتكر كده؟

خالد: لا مش أفتكر، أنا واثق، ثقتي فيك، وفي الجبل، وفي بلدنا. (ينهض خالد واقفًا. ينهض فوزي بعده بتردد. يلقي نظرة على المطرقة، وعلى المكان حوله. يتجه نحو المطرقة يرفعها في الهواء)

فوزي: (يقبل المطرقة) في الشرر اللي كان بيطير منك لقيت نفسي وعرفت مين أنا.. إضربي بقوة.. حتى لو ما كنتش أنا هنا.. إضربي بقوة.. عشاني وعشان الناس (يخرج الاثنان. وتسمع من الخارج أصوات زغاريد وأغاني. إعتام المشهد، وانتقال إلى يوسف في حجرته. مازال بدن المؤلف جالسًا وعليه علامات الإحباط واليأس)

يوسف: ياه.. أخيرًا.. أخيرًا كتبت عمل كان نفسي أكتبه.. ياه..

بدن المؤلف: خلصت شغلك؟ مبسوط إنك عطلتني ووقفت حالي؟ (ينهض البدن من جلسته) اتفضل بقى وسيب لي المكان عشان أكمل مشاهد مسلسل جدار الخطر..

يوسف: فاضل لي مشهد واحد بس.. الفرح.. إديني دقيقة واحدة..

بدن المؤلف: (ملوحًا بسبابته في وجه يوسف) ولا ثانية؟ فاهم؟ اتفضل قوم وما ترجعش هنا تاني..

يوسف: (ينهض غاضبًا) بتطردني؟ تطردني من بيتي وأوضة مكتبي؟

بدن المؤلف: وأطرد أبوك وأمك كمان، مادمت بتعطلني وتخرب بيتي..

يوسف: يا ندل، ده بيتي أنا، ويكون في علمك إني ح أدافع عن حقوقي كاملة

بدن المؤلف: تفضل من غير مطرود، وما تورنيش وشك تاني.. البيت ياحبيبي بيت اللي بيدفع الأقساط والفواتير والإيجار.. إنما أنت بتحلم، والأحلام ما تسددش ديون..

يوسف: (مرتبكًا) الله.. أسكن فين أنا طيب؟ أبقى متشرد يعني؟

بدن المؤلف: براحتك بقى.. ممكن تسكن سحابة.. تسكن قلب بكر لسه ما عرفش الواقع.. اسكن فكرة.. أنت الواقع ما يلزمكش.. عيش بقى في الخيال!

يوسف: (بصوت منكسر) طيب أكمل المشهد الأخير فرح فوزي وشريفة وأمشي

بدن المؤلف: (يجلس إل ى المكتب) انتهت المسخرة.. إديني عرض كتافك..

(بدن المؤلف محدثًا نفسه وهو يكتب) جدار الخـــ...طـــ...ر! الحلقة الثامنة. عجمية وحدها في الصحراء!

يوسف: إلهي يسقط عليك جدار خطر.. ده أنت مؤلف حثالة صحيح!

بدن المؤلف: وأنت كاتب درجة تاسعة.. ما تساويش مليم ممسوح!

يوسف: يا مقرف.. فاهم إنك كده ح تعطلني؟ مش ضروري أكتب المشهد الأخير، هو معروف، كل اللي ح أعمله إني أروح بنفسي وأحضر الفرح.. خيال مع الخيالات الجميلة.. وعيش أنت للفاصوليا، ولمعدتك، والفن الهابط بتاعك.. (بدن المؤلف يلوح له بيده دون اهتمام ويواصل الكتابة. يوسف يجتاز المنطقة من حجرة المؤلف إلى المكان الذي شهدنا فيه الأحداث، فيجد هناك فوزي وشريفة

والفلاحين، يقف بينهم، ويصفق، وبينما يعتم المكان عند المؤلف، نسمع أغنية العرس بقوة، مع رقصة شعبية)

أغنية الكورس:

حدوته يابكره ياجاي.. حدوته يابكره ياجاي

إحكي ياريس قول.. إحكي ياريس قول

يمكن ف حكايتك نفهم ليه؟ وازاي

يمكن ف حكايتك نلمس لون الفجر الجاي..

حدوته يابكره ياجاي

ونشوف الحب سنين بتطول

ويفتح زهره النادي

ما لوش فصول

ونحاول مرة نهادي الناس..

ونحاول مرة نهادي الناس

حدوته يابكره ياجاي..

حدوته يابكره ياجاي!

ستار

الجبل

النسخة الفصحى

مسرحية من فصل واحد

تأليف :

د. أحمد الخميسي

الجبل

المكان:

– غرفة مكتب يوسف شكري المؤلف في القاهرة – وأيضًا الأماكن التي يتخيلها المؤلف أثناء كتابته (مغارة في الصحراء ، مكتب الشرطة ، مقهى، حديقة....الخ)– كذلك بلدة صغيرة متواضعة في الصعيد اسمها دنفيق الحاجر في أعلي الجبل غرب النيل بصعيد مصر لا يصلها الماء النقي. يعيش أهلها على مياه الآبار الفاسدة. لكن بوسعهم أن يفتحوا لماء النيل مجرى إلى القرية إذا قاموا بشق نفق في الجبل بامتداد عشرة كيلومترات

الزمان:

أي زمان.

الشخصيات :

– المؤلف (1) يوسف شكري مؤلف أديب في نحو الأربعين،

– المؤلف (2) – وهمي، مجرد بدن.

– فوزي ماجد، شاب في أوائل الثلاثينات.

– أصدقاء فوزي:

1– مؤنس، محب، مسيحي مدرِس تاريخ في الأربعينات.

2– سعيد، صحفي من القاهرة ، نراه خلال زيارته لبلدته دنفيق الحاجر ، مؤمن بالعولمة وما شابه.

3– علي، شاب في مطلع الثلاثينات، متدين.

4– خالد، يميل للفكر القومي الوطني.

5- شريفة ، شابة جميلة تجاوزت العشرين بقليل ، تعمل معلمة في مدرسة المركز الذي تتبعه القرية.

6- الجارحي، عم شريفة.

7- حلمي، ابن الجارحي.

8- سعدية، فتاة ريفية، تعمل في بيت الجارحي.

9- فلاحون: منهم عم عبد الحكم، والمصيلحي، وخليفة وآخرون، وشخصيات ثانوية أخرى: صامتة ومتكلمة.

- ميكرفون معلق على جدار، تأتي عبره أصوات الزوجة والدائنين وغيرهم.

المشهد الأول

– افتتاحية موسيقية. استعراض

– في الثلث من يسار المسرح ، إلى الأسفل قليلاً ، نرى حجرة المؤلف يوسف شكري. وسط المسرح وعلى اليمين مكانان شاغران لخيال المؤلف وشخصياته.

تجري معظم أحداث المسرحية على شكل حوار بين بقعتي ضوء: الأولى في الأسفل حيث حجرة المؤلف، والثانية في مستوى أعلى، حيث نتابع خيال المؤلف وشخصياته. كل المَشاهد التي يكتبها المؤلف يمكن أن نراها مجسدة ممثلة أمامنا، أو أن نكتفي بسماعها بصوت المؤلف، أو البدء بصوته والانتقال للمَشاهد التي تمثل في المساحات الفارغة من المنصة.

– تظهر لنا أجزاء أو ملامح من حجرة المؤلف يوسف شكري تحت بقعة ضوء منداحة:

– مكتب المؤلف وسط الحجرة، وهو جالس بشكل جانبي ، بحيث يرى المتشاهد بروفيل لوجهه.

– الجدار المواجه للمتفرج يلوح جزء من شباك زجاجي . عاليًا على يسار المؤلف مثبت ميكرفون من النوع القديم يشبه البوق.

– مكتبة تلوح مقدمتها في زاوية وراء المؤلف، مليئة بكتب وصور كتّاب مثل : الحكيم ونعمان عاشور ؛ وقادة مثل : أحمد عرابي ، وسعد زغلول ، وجمال عبد الناصر.

– وراء المؤلف تمامًا أريكة للنوم وغطاء ووسادة.

– المشهد محصور تحت بقعة ضوء ضعيف من مصباح يتدلى فوق مكتب المؤلف، يعلو ويهبط. ثلثا المنصة الواقعان يمين المتفرج مظلمان.

تبدأ المسرحية بالمؤلف وهو يفتح ستار المسرح كأنه ا ستار نافذة، ويمسك بمنفضة وينفض التراب المفترض أنه على زجاج النافذة المطلة على الجمهور، ثم

يمسك ببقية جريدة ويتفل في الهواء على الزجاج ويلمعه فنسمع صوت تزييق من تلميع الزجاج. يتطلع المؤلف من النافذة الموهومة، يحرك رأسه يمينًا ويسارًا ، ثم يجلس إلى المكتب الصغير. أوراق أمامه و يكتب في صمت. الكرسي الجالس عليه يصدر صوتًا كأنه ينهار . ينهض المؤلف ويثبت إحدى قوائم الكرسي بمدق ومسمارين، ثم يعاود الجلوس ويواصل الكتابة. إذا كانت هناك موسيقى فستعزف – بعد جلوسه للمرة الأخيرة – بهدوء النغمة الرئيسية المميزة للعمل كافتتاحية خفيفة تصل بصوت ضعيف.

يوسف (يرفع رأسه متنهدًا ناظرًا إلى الورق. وبصوت احتفالي ونبرة ممطوطة) : جـ دار.. الخـ.. طـ.. ر! الحلـ.. .قـ.. ة السـ.. ا.. بعـة! جدار الخطر.. المشهد المائة وستون.

(المشاهد التالية التي هي من تأليف المؤلف، سنسمع مقدمتها بصوت المؤلف، ثم ننتقل إلى اليمين والوسط لنرى بعضًا منها مجسدًا بالتمثيل)

(ليل خارجي . كهف . العصابة في صحراء العريش بسيناء. يدخل المعلم عوضين).

عوضين: مساء الفل يا رجال. البضاعة في طريقها إلينا على ظهور الجمال. عزوز وقدورة سيلتقون بالبدو وينقلون البضاعة إلى الشاحنات. (يشير المعلم عوضين لامرأة بزي بلدي) وهذه هي عجمية الخائنة. أرادت أن تدل الشرطة علينا.. هآهي. أروها جزاء كل من يخون المعلم عوضين..

صوت الزوجة من الميكرفون: خلصت المسلسل يا يوسف؟

يوسف: (منهمكًا حتى إنه لم يسمع)

عجمية: مهما تفعل بي سأظل أحبك يا معلم عوضين.

عوضين: أنا لو اكتشفت أن إصبعي شرطي لقطعته.. أليس كذلك يا رجال؟

الرجال يزومون كالوحوش: طبعًا يا سيد المعلمين. (الرجال الوحوش يتلقفون عجمية ويقيدون يديها من الخلف ويدفعون بها إلى ركن من الكهف)

تغني وحدها : "مظلومة معك يا عوضين.. عشقتك يا أبو رمش وعين "..

(استعراض)

يوسف (يرفع رأسه ويسأل نفسه باستغراب): ما معنى "عشقتك يا أبو رمش وعين"؟ هل هناك من ليس له رموش وعيون؟ (يحني رأسه ، يواصل الكتابة قائلاً بصوت منخفض) ياالله! المهم أنها كلمات موزونة للتلحين والغناء وخلاص. هل أنا من سيغير العالم؟ (يزووم مفكرًا لحظة وعيناه على الورق).

صوت الزوجة: هل أنهيت ما تكتبه يا يوسف؟

يوسف: (منهمكًا لم يسمع) قطع على نقطة الشرطة – ليل داخلي – ضابط الشرطة منير الضبع يصيح في أفراد قوة الشرطة.

الضابط منير: اليوم، مع غروب الشمس ستتقدمون لمحاصرة كهف العصابة ، وعليكم أن تنتبهوا لوجود العقيد نادية عزمي المتنكرة في شخصية عجمية فلا تمسوها بسوء. مفهوم؟

(صوت يوسف):

ملاحظة: سيتضح فيما بعد أن العقيد نادية عزمي، أو عجمية هي أخت المعلم عوضين في الرضاعة ولا يعلم الاثنان بذلك إلا متأخراً، فتقع العقيد نادية عزمي في حيرة بين العاطفة والواجب، فالعاطفة تقتضي منها حماية المعلم عوضين لأنه أخوها، ولكن الواجب يلزمها بالقبض عليه، صراع دام ورهيب بين القلب والعقل، عذاب بين الضمير والقانون، ألمٌ شديد قد يمتد ويستغرق حلقتين من المسلسل، وإذا أقنعنا المنتج بتطويل الألم فقد يستغرق هذا الألم وحده سبع حلقات على الأقل، ورزق المؤلف على المشاهدين.

(تدخل الزوجة)

الزوجة: يوسف..

(يوسف لا يرد)

الزوجة: يا يوسف.

يوسف : (مفزوعًا) عجمية؟!

الزوجة: أية عجمية! أنا فتحية زوجتك أم أولادك. قل لي يا نور عيني.. كم حلقة أنهيت حتى الآن؟

يوسف: شغال في السابعة.

الزوجة: مسلسل جدار الخطر أم مسلسل ذكريات الماضي؟

يوسف: ذكريات الماضي أعكف عليه فترة الصباح.. الآن أكتب جدار الخطر.. بقى لي ثلاث حلقات فقط..

الزوجة: (تزوم مفكرة) ممم.. وعوضين ؟ عرف المعلم عوضين أن عجمية هي أخته في الرضاعة؟

يوسف: لاء، لم يعرف بعد..

الزوجة: خلِّه يعرف!

يوسف: هذه المفاجأة ستأتي في الحلقة الثامنة.

الزوجة: وهل غنت عجمية أغنيتها "مظلومة معك"؟

يوسف: (يهز رأسه بالموافقة)

الزوجة: (بزعيق) غنتها أم لا؟

يوسف: بلى.. بلى..

الزوجة: وأغنية "معذبه يا تلك الظنون.. ما بين ضميرى والقانون" غنتها؟..

يوسف: لاء ، هذه ستغنيها مع رقصة بلدي، حين يلقون القبض على عوضين في الحلقة التاسعة.

الزوجة: طيب خلِّ عندك همة.. الأرز على النار.. وأثناء إعدادي تكون أنهيت حلقتين.. نتعشى وتدخل على الأخيرة.. العيال لا بد يصيِّفوا هذه السنة.. بأي شكل، وبأي مسلسل، فاهم؟

يوسف: فاهم. لكن هناك مشاكل في الكتابة. الضابط منير الضبع أعطى أوامره في الحلقة السادسة بمحاصرة الكهف والقبض على عوضين.. لا أدري ماذا أكتب بعد ذلك؟ ماذا أكتب؟..

الزوجة: الله أهي مشكلة أم مشكلة! دع عملية إلقاء القبض على عوضين تفشل؟!

يوسف: لا أستطيع.. لا أستطيع.

الزوجة: ولماذا لا تستطيع؟

يوسف: منير الضبع هذا ضابط شرطة كبير.. (يطقطق بشفتيه) لا.. لا.. الضابط حسب لائحة الكتابة الفنية في التلفزيون عندنا لا بد أن يكون ناجحًا وعظيمًا.. الفاشل يمكن أن يكون كاتبًا، مهندسًا، عالمًا، والأفضل شاعرًا.. لكن ضابط؟ أعوذ بالله؟

الزوجة: وماذا بوسع الضابط أن يفعل لنا؟ من يكون منير الضبع هذا في نهاية المطاف؟ هل أننا نسرق؟ نزوِّر؟ نختلس؟ نحن نؤلف يا نور عيني، وأنت معروف في الضراما (تقصد الدراما) من زمان. صل على النبي.

يوسف : (هامسًا تقريبًا) دراما بالدال.. ليست بالضاد..

الزوجة: (لا تعير اهتمامًا لما قاله) لماذا تخشى منير الضبع؟ ألست عضوًا في اتحاد الكتاب؟

المؤلف: (بتردد وضعف) بلى.. عضو..

الزوجة: إذن إن ضربوك في قسم الشرطة.. ألا يدافعون عنك؟

يوسف: عادة يصل مندوب وزملاء آخرون.. ويحاولون الدفاع عنا، وتكون النتيجة في الأغلب أن يتلقوا نصيبهم من الضرب معنا.. ثم نخرج ونتناول لقمة في أي مطعم بالحسين.. وهناك نناقش مشكلة العولمة وثورة الاتصالات..

الزوجة: وهم.. من يدافع عنهم؟

يوسف: يدافع عنهم أي ضابط قريب أو نسيب أي منهم..

الزوجة: طيب أنا ابن خالتي في إدارة مرور شبرا.

يوسف: إدارة مرور؟ نحن لم نكسر إشارة مرور؟ نحن في التأليف التلفزيوني. تأليف! ضراما يعني!

الزوجة: ومن أين لي أن أعلم.. ربما تكتب في الممنوع؟ أو تسير في عكس الاتجاه؟

يوسف: (بمرارة واستهزاء بما يكتبه) لاء ، ما أكتبه هو المسموح.. المسموح قوي.. حكاية المعلم عوضين هذه من أيام أنور وجدي.. وشرفنطح!

الزوجة: نعم. هي حكاية قديمة. لكن مسلسل ذكريات الماضي جديد.. حقيقي.. شركة، الأب صاحبها يصاب بشلل والأم تصاب بجلطة، وأولادهم يضربون بعضهم البعض من أجل الميراث.. عمارات وشركات وأسهم.. بعدد حبات الأرز.. (تنتبه وتدق على صدرها) الأرز.. ياخرابي.. الأرز على النار!

(تخرج الزوجة مسرعة)

يوسف: (يقلدها بالدق على صدره كما فعلت) المسلسل.. يا خرابي المسلسل!.. لا أدري لماذا أشعر أن هذا المسلسل تلبك بين يدي، عجن مني! طالع مش مفلفل.. (يضحك مع نفسه) مفلفل تلفزيوني! (يتنهد ويهز القلم بيده) الأمر لله.. (يواصل التفكير والكتابة)..

(صوت الزوجة في الميكروفون): طيب ما تكتب عن واحد فقد الذاكرة وظل يبحث عنها ثلاثين حلقة؟ احسب أنت كم يدفعون اليوم في ثلاثين حلقة؟

يوسف: (يزووم رافعًا رأسه) مم.. المشكلة أن الذي يفقد الذاكرة حين يستعيدها يتضح أنها لم تكن جديرة ببحثه المضني عنها.. يتضح أنها كانت تنطوي على مجرد تفاهات مبعثرة.. فلا تفهم لِمَ كان يود استرجاعها..

الزوجة عبر الميكرفون: (صوت طشة ثوم وشهقه) أتسمع صوت الطشة؟ أنا خلصت الصلصلة، وسأضع البامية فيها.. كن شاطرًا وخلص شغلك أنت كمان..

يوسف: (يذرع الغرفة وكأنه لم يسمع الجملة الأخيرة) الناس يحبون الجلوس بكسل أمام شاشة التلفزيون.. وبالطبع لا بد من أن يتحرك شيء على الشاشة.. أي شيء.. أغنية، مسلسل.. وهنا تظهر أهمية المؤلفين أمثالي! توصيل المسلسلات حتى باب البيوت! دِلِفَري! المفروض أن يكون عند كل مؤلف موتوسيكل أو "تكتك" يصل به إل ى كافة الاستوديوهات يسلم كل مخرج الحلقات طازجة..

(يقلد زمجرة الموتوسيكل ويأتي بحركة برجله كمن يضغط على دواسة الموتوسكيل) المهم المؤلف يكون سريع.. (بملل) أنا أيضًا صرت مؤلف كبده وشاورمة.. (يتذكر) مع أنني في بداياتي.. أول ما بدأت.. أول.. (لحظة صمت) ما بدأت (ينحني ويسحب ورقًا وصحفًا قديمة من درج المكتب ويفتش فيها حتى يجد

مقالاً في جريدة يقرأ مطلعه): "مولد كاتب مسرحي كبير بقلم الناقد محمد صبري"، (يتنحنح ويقرأ): "يمكن القول إن مؤلفًا مسرحيًا كبيرًا ولد الآن أمام أعيننا هو الكاتب يوسف شكري الذي قدم عملاً رائعًا للمسرح جمع فيه بين الجدة والعمق والطرافة معًا" (يطرق ورقة المقال بأصبعه) أين اختفى هذا الكاتب؟ الفنان؟ المبدع؟.. ابتلعه المستنقع الرملي الذي يتصيد قدمك، ويظل يسحبك إلى أسفل.. شيئًا فشيئًا.. تحت.. تحت.. حتى تجد نفسك غارقًا.. وما من يد تمتد إليك لتنقذك.. (صمت) غارق حتى رأسك وأنت تختلس نظرة إلى النجوم العالية؟ إلى قبة السماء المهيبة.. ما هي ذرات الرمل الصغيرة التي تلتف على قدمي الإنسان كالحبال المتينة فلا يستطيع أن ينتزع نفسه منها؟.. الكسل؟ الاستسهال؟ ضرورات الحياة ومتطلباتها.. أم أن الكاتب لا يستطيع أحيانًا أن يتحمل عبء الكتابة المرهق الثقيل؟ أو لا يمكنه أن يستغنى عن احتياجات حياته اليومية واحتياجات أسرته من أجل خاطر جميل؟.. الكتابة تحتاج إلى تفرغ.. وإلى عزلة.. من سيطعمك في تلك الأثناء؟ من سيوفر لك الجبن والخبز واللحم والأسبرين؟ إيجار المسكن، وثمن السروال ، وقمصان نوم الزوجة ، ومعجون الأسنان؟ .. (صمت. يروح ويأتي) ومع ذلك فتلك الظروف الصعبة هي الامتحان الحقيقي لصدق الرغبة في الإبداع.. هناك كثيرون موهوبون.. لكن بعضهم فقط لديه إرادة.. (ينظر في اتجاه الميكروفون ويمط الحروف بقرف) ج.. - - دار .. الـ خـ . طر!! الخطر! (يثور ويهجم على الورق الذي كتبه ويشقه إلى نصفين. يتبع ذلك مباشرة صوت من الميكروفون)

صوت رجالي أجش: أستاذ يوسف.

(يوسف يرفع رأسه ويرهف أذنيه متنصتًا مفزوعًا)

الصوت: يا أستاذ يوسف.. أنا الحاج عبد الرازق.. (ينكمش يوسف كأنما يبحث لنفسه عن مكان يتوارى فيه، قد يختبيء برأسه تحت سطح المكتب).

الصوت: يا أستاذ.. أنا لا أستطيع أن أصبر أكثر من ذلك.. هل كان ذنبي أني أقرضتك النقود؟

(يوسف بصمت يهز رأسه من تحت سطح المكتب إشارة لصاحب الصوت على أنه لم يكن مذنبًا)

الصوت: ثم الألف جنيه التي أقرضتها لك لوجه الله صارت مع الفائدة المتراكمة ألفين وأربعمائة جنيه.. متى ستدفع المبلغ إذن؟ قلت لي إن بين يديك عملاً تنهيه وبعدها تسدد المبلغ.. (يوسف يهز رأسه مؤمّنا على كلام الصوت) طيب.. متى؟ (يوسف يخرج بخطوات حذرة من تحت سطح المكتب ويرفع الورق الذي كان قد شقه إلى نصفين، ويضمه إلى صدره، يضع نصفي الورق متجاورين على المكتب ويجلس يواصل الكتابة بسرعة وحمية وهو يشير بأصابعه للصوت بمعنى "انتظر وسترى النتيجة").

يوسف: المشهد مائة واثنان وستون – ليل خارجي – قوات الشرطة تتقدم إلى الجبال المطلة على كهف المعلم عوضين. قطع – المشهد 163 منظر عام للصحراء والجمال التي تحمل المخدرات. لقطة قريبة لجملين، أحدهما يلوك صبارة بشوكها.

الجمل الأول بصوت خافت للجمل الثاني: أتظن سيادتك أن إشارة بدء تنفيذ الخطة ستتأخر؟

الجمل الثاني بحزم: اسكت يا شاويش عبد الله وإلا سمعتنا العصابة.. وأكمل على الصبارة التي في فمك.. لا تترك منها ولا شوكة واحدة صغيرة.. فاهم؟

الجمل الأول: أول مرة يا أفندم أتنكر في شكل جمل وأحس بمشاعره! أنا أصلاً اختصاصي تنكر بحري.. أسماك يعني.. آخر مرة تنكرت فيها في شكل جمبري مسلوق حين كنت أتنصت على أحد تجار العملة في الغردقة، أكلني!

الجمل الثاني: كلِ الصبارة وأنت ساكت.. حياة الشرطة خشونة ورجولة.. جهاد وتحمل.. تأديب وتهذيب.. عنف وإثارة.. إذا عطشت تناول جرعة مياه سنمك الذي توفر فيه الماء..

الأول: يا أفندم أنا لم آت بالسنم معي..

الثاني بغضب: جئت بدون سنمك يا عسكري؟

الأول: يا أفندم حين طلبت "السنم" من مخزن المعدات.. قال لي الشاويش جاد الله هات لي شهادة إنك جمل؟ قلت له ما أنا كنت سمكة قبل ذلك وأخذت زعانف دون أن يطلب مني أحد شهادة، فقال لي السمكة ممكن لأنها شيء صغير.. لكن جمل يلزمه قطعًا ختم النسر وشهادة اثنين من موظفي الدولة!

صوت من الميكرفون: أستاذ يوسف.. هذه هي المرة الخامسة التي آتي فيها لأستلم قسط جهاز التكييف؟ أنا آتي من آخر الدنيا.. أهذه هي الأصول.. يعني أنا أكيفك.. تقرفني؟ أهذا جزائي؟!

يوسف: (ينصت حتى ينتهى الصوت ثم تتزايد سرعته في الكتابة)

المشهد 165 – نهار خارجي – عوضين يدخل الكهف وبيده زجاجة براندي، يرى رجال العصابة يحاولون إرغام عجمية على الرقص. عجمية واقفة مرتبكة. لا تدري ما الذي ينبغي عليها أن تهزه بالضبط. ولهذا تكتفي بتلعيب حاجبيها للرجال المتوحشين.

صوت: يا أستاذ يوسف.. الكهرباء.. فاتورة يناير.. 5 آلآف يورو!

يوسف: (ينصت بوجه مذعور حتى ينتهى الصوت ثم تتزايد سرعته في الكتابة وصوته يتسارع وهو يسمعنا ما يكتب):

عوضين يصفع عجمية على قفاها. لقطة تملأ الشاشة للقفا محمرًا ملتهبًا متورمًا معًا كجلمود صخر حطه السيل من عل!

صوت: يا أستاذ.. عاوزين ال 300 جنيه اشتراك البك الصغير في أتوبيس المدرسة.. يا أوستتتتا–ا–ا–ذ.. يا مؤلللللف (كلمتا يا أستاذ ويا مؤلف ممطوطتان)

يوسف: (ينصت حتى ينتهى الصوت ثم تتزايد سرعته في الكتابة ، ويأخذ كلما انتهى من ورقة بإلقائها جانبًا على الأرض وصوته يتسارع وهو يسمعنا ما يكتبه):

عجمية تتحسس قفاها وتبكي قائلة : لم أكن لأظن أن نهاية الغرام ضرب على القفا، يا عوضين!

صوت: أستاذ يوسف.. يوسف يا أستاذ.. أبي يقول لك إنه مرابط أمام التلفزيون ينتظر أن يرى المسنسسن لكي تدفع له ال 90 جنيه حق السجاير والبسطرمة..

ويرجوك أن تنهي العمل لأنه لا يفارق جلسته أمام التلفزيون ومصالحه معطلة.. أستاذ يوسف.. يوسف يا أستاذ!

يوسف: (ينصت حتى ينتهى الصوت ثم تتزايد سرعته في الكتابة وصوته يتسارع وهو يسمعنا ما يكتب):

ينطلق آذان الفجر.. عوضين يتحسس كفه التي صفع بها عجمية متطلعًا مع صوت الآذان إل ى السماء بندم وعينين دامعتين.. عوضين ينظر إلى عجمية بأسى. لقطة قريبة "كلوز آب" لوجه عجمية متأثرة، لقطة لعوضين يتركها ويخرج مترنحًا ينهار من الندم..

أغنية "محتارة يا هذى الظنون ما بين ضميري والقانون " – (يفترض أنها تسخر من الأغاني الشائعة الرخيصة)

عجمية تغني:

آهين وآه .. وآهين يابا

عقيد بوليس جوه عصابه

الحب عدى عليه صابه

باصطاد لقيتني منصاده

للناس عوض.. وأنا عوضين!

عديت بنظره يا سي عوضين

وقعت قلبي برمش وعين،

والنص عندي بقى نصين..

أشوف عوض أتشق اتنين..

للناس عوض.. وأنا عوضين!

صوت الزوجة: البامية يا يوسف.. البامية يا يويووو ..

يوسف (ينصت حتى ينتهى الصوت ثم تتزايد سرعته في الكتابة وسرعته في إلقاء ما يكتبه جانبًا على الأرض وصوته يتسارع):

البوليس يقتحم الكهف ويدخل مع القوة جملان، عوضين يحتمي بعجمية ويشهر مسدسه: إذا اقترب مني أحدكم سأقتلها. أفراد الشرطة يصوبون بنادقهم نحوه. نهاية الحلقة السابعة. جـ ـ دار.. الـخـ ... طـ.. ر تأليف يوسف شكري! (يلقي بالقلم وينهض نافخًا متعبًا. يتثاءب ويتمشى قليلاً في الغرفة يفرد جسمه).

صوت الزوجة: البامية.. يا يوووو.. (تنطق البامية ويويوو ممطوطة برقة أنثوية كأنها تدعوه لشئ آخر) البـ.. ـ .. آ.. ـ مـ.. يـ.. ـهـ.. (المؤلف يرفع رأسه ناحية الميكرفون متطلعًا منصتًا) البامية (بصوت به بحة) البامية البامية ساخنة.. الله!

يوسف: (بضجر) بامية كل يوم؟

صوت الزوجة: (بزعيق) مالها البامية؟ أليست حلالك؟ أم أنك تتطلع لفاصوليا خضراء صغيرة لذيذة في مكان ما ياسي يوسف؟

يوسف: (يتثاءب واضعًا يده على فمه) لا.. لا ياشيخة.. ما ألذَّ البامية عندك بالضبط! أنا فقط مرهق قليلاً.. أريد أن أنام. (يرفع الغطاء الموضوع فوق الكنبة إلى الأعلى) لكن نهاية هذه الحلقة كانت حلوة.. عبد العزيز المخرج يحب هذا النوع من النهايات.. يقول عنها "سسبنس" تشويق وإثارة.. عوضين ممسك بعجمية وقد أشهر مسدسه ، بينما رجال الشرطة يصوبون بنادقهم عليه. حلوة. (يتثاءب ويعدل وضع المخدة استعدادا للرقاد) ياترى ماذا سيفعل عوضين بعد ذلك؟ لا بد أن يهرب من الشرطة، يهرب على الأقل حلقتين. سسبنس. تشويق.

(يطفيء المصباح فوق المكتب. إعتام. يرقد لينام، يسحب الغطاء فوق جسمه. أثناء الاعتام يرقد ممثل آخر أيضًا على الأريكة بالطبع دون أن يلحظ المتفرج ذلك، هكذا يكون لدينا مؤلفان، أحدهما سيظل راقدًا، والآخر – الذي عرفناه – سينهض فيما بعد ويتكلم، للإيحاء بأن ثمة روحًا، وثمة جسدًا نائمًا لنفس الشخص. بعد ثوان نسمع شخيرًا. وبعد عدة ثوان أخرى نرى بوادر ضوء الفجر

الخفيف على زجاج الشباك. يبدأ مرة أخرى اللحن الموسيقي المميز كخلفية خفيضة الصوت، اللحن ذاته الذي سمعناه في الافتتاحية عند جلوس المؤلف في البداية للكتابة، ومع بداية اللحن ينهض يوسف (المؤلف 1) الحقيقي من على الأريكة ليقف أمامنا، بينما بدنه (المؤلف 2) راقدٌ أمامنا على الكنبة في نفس الوقت. على الممثل الراقد أن يتقلب على الكنبة من وقت لآخر، ويشخر، أو أن تسقط ذراعه خارج الكنبة للإيحاء بأننا أمام بدن، انفصلت روحه عنه وتحررت في حلمها أمامنا. يتحرك (المؤلف 1) ويشعل المصباح المدلى ثم يتجه نحو المكتب. يلقي بنظرة على الأوراق. يجلس. يضع رأسه بين يديه. يدخن. يقف ثانية يتحرك. (يتنصت على صوت غير مسموع.. على الصمت).

يوسف: الناس كلهم ناموا. الرجال والنساء الذين يجوبون الشوارع طوال النهار.. يطحنهم مَن هم أعلى منهم.. ويطحنون هم من هم تحتهم.. نام الجميع.. من كان لحم قدميه ركوبة.. نام.. ومن كانت ركوبته مرسيدس نام.. الذين تلمع عيونهم بندى الحنان.. ناموا.. والذين تبرق عيونهم من العجرفة.. ناموا.. الأطفال الذين يحتضنون لعبهم على وسادة مزخرفة.. ناموا.. والأطفال المحتضرون أوراق كلينكس على رصيف.. ناموا.. الآن فقط أدرك أهمية النوم.. إنه الوقت الذي يستريح فيه الكون من البشر.. فلا تبقى له سوى الأحلام، مثل نور خفيف على زجاج النوافذ، فقط الأحلام. مملكة العدل الوحيدة التي عرفتها البشرية.. مملكة ليس فيها حلم مسرع يدهس حلمًا بطيئًا.. ليس فيها حلم سجان، وحلم مسجون.. ليس فيها حلم برتبة ونياشين.. وحلم آخر واقف يرتعش أمامه من الخوف.. ليس فيها حلم صفيق يتفنن في العلاقات ودعوات العشاء ليمرر شغله.. وحلم آخر حساس وغلبان.. الرغبات كلها تسير متجاورة.. لا تقف ضد بعضها البعض.. كل إنسان حر، يحلم بطريقته، قدر ما يلزمه، في الأحلام فقط يمكنك أن تصبح ريشة عصفور، أو آلة كمان حنونة، يمكنك أن تغدو بلاط قيشاني في حمام، أو سلطاناً في قصر.. أنت حر.. يمكن أن تكون كل شيء، أو حتى لا شيء، أنت حر.. (ذلك الذي تقمَّص بدن المؤلف نائمًا يشخر. ينظر إليه المؤلف الروح) نم قليلاً.. نم وأرح الناس من مسلسلاتك السخيفة.. (البدن يشخر

بقوة) وأنا من زمن أحلم أني أكتب عملاً، لا أدري ما هو بالضبط.. لكن كما تتمنى نفس الإنسان شيئًا جميلاً.. حلواً.. وتسأله: ماذا تريد بالضبط؟ يقول لك لا أعرف.. لكني أرغب في أن أكتب عملاً بسيطًا وصادقًا.. لكن من أين أبدأه؟ بم؟ بمن؟ بماذا؟ (بنبرة تصميم) المهم أن أشرع فيه.. أضع الورق الأبيض وألقي بقلمي فيه.. مثل الصياد حين يلقى بشِباكه في البحر تاركًا للقدر أن يحدد له نصيبه.. ربما يهبني حورية بديعة، وربما لا يمنحنى سوى حذاء قديم من سفينة غارقة.. هكذا تكون الكتابة الحقيقية.. مغامرة..

(يجلس إلى المكتب بحماسة ويشرع في الكتابة)

يوسف: الزمان هذا العام.. المكان شقة في حي متوسط في القاهرة..

(يظهر عمال الديكور ويشرعون على الفور في تركيب ديكور شقة في المساحة الفارغة يمين المسرح).

يوسف: (يفكر) لكن مشاهد الشقق والحجرات المغلقة مملة في المسرح.. هل أجعلها حديقة؟ (العمال على الفور يخرجون ديكور الشقة ويسرعون بتركيب أشجار حديقة)

يوسف: لكن ليس لدينا حدائق تصلح لحدث مسرحي؟ بل ليس لدينا حدائق أصلاً؟! (عمال الديكور يخرجون ديكور الحديقة ويتطلعون إلى يوسف)

يوسف: (يفكر) أأجعلها مقهى.. وهناك مثقفان جالسان يتبادلان الحديث (عمال الديكور يدخلون كراسي ومناضد صغيرة للمقهى)

يوسف: (يفكر) مثقفان.. الأول يقول للثاني عولمة، الثاني يرد عليه لاء كوكبة، هذا يقول له تيزيس.. الآخر يرد بنرفزة أنتي تيزيس.. (يطقطق بشفتيه برفض) لا ... آخر ما يحب الناس مشاهدته في المسرح هو المثقفون.. دائمًا مشمئنطون ينطقون بعبارات ومصطلحات معقدة، ولا تعرف لا لها ولا لهم فائدة (عمال الديكور واقفـون كمن أُسقط في أياديهم بتعب وغيظ) . (ينهض يوسف ويذرع الغرفة. تسقط يد النائم قرب ساق المؤلف وهو يتمشى فيعيدها إلى مكانها بقرف ثم يوجه حديثه إلى النائم يشخر مع إشارة رجاء بيده)

يوسف: (للنائم) انهض وابحث لك عن مكان آخر تنام فيه.. ارحمني يا أخي.. (يزداد شخير النائم قوّة) – (يوسف يزغده في كتفه بقوة) ارحمني، اعتقني لوجه الله.. نازل شخير على تطويح أيادي.. ((يقترب يوسف من جسم النائم فيسد أنفه بإصبعين مرتفعًا بجذعه لأعلى) لا يخرج منك شيء طيب أبدا؟! ذكرتني بعم سعد، كان في عز الجلسة وسط رجال بلدتنا و.. (كمن تنبه فجأة) أكتب عن بلدتنا؟ "دنفيق الحاجر"؟ المرمية في حضن جبل بالصعيد؟ (عمال الديكور يخرجون كراسي المقهى ومناضدها) لكن ماذا تعني "دنفيق الحاجر" على خريطة العالم؟ لا شيء.. حتى اسمها مضحك.. كأنما عدموا الأسماء فلم يبق سوى "دنفيق".. لكن أيوجد مكان ما لا يصلح موقعًا لحدث مسرحي؟ كل الأماكن صالحة.. المهم ماذا سأكتب؟ قصة حب بين شابين في قرية أرضها عطشى للماء.. الماء خلف القرية يحجبه جبل.. نعم.. (يجلس إلى المكتب ويمسك القلم ويكتب بحماسة بهيئة من صار كل شيء واضحًا له).. "الجبل" مسرحية من فصل واحد.. نعم (يردد بحزم) فصل واحد، لا ثرثرة ولا إطالة.. تأليف يوسف شكري (يكرر اسمه مستعذبًا مستغربًا وقعه هذه المرة كمؤلف حقيقي) يوسف شكري. (يفكر) طيب.. نفتتح بكَوْرَس.. يقدم بداية الحكاية..

(تضعف الإضاءة فوقه. ويضاء يسار المسرح أو يضاء المستوى الأعلى كيفما يريد المخرج لنرى كَوْرَس من الفلاحين يتقدمه رئيسهم على خلفية من ظلال الجبل، والنخيل، ربما يمر من خلفه طفل بجلابية أو أية تفاصيل توحي بالقرية. يوسف يتأمل الكورس، كأنما يزن أمرًا، يظل الكورس متجمدًا ما دام يوسف يتأمله)

يوسف: (ناظرًا إلى الكورس متشككًا يحك ذقنه) طق..لا أدري.. يخيل إليَّ أنه لا داعي للكورس.. (يشرع بعض أفراد من الكورس في الاستدارة للانصراف والآخرون وراءهم. لكن قبل أن ينصرفوا ينظر إليهم يوسف ثانية بتردد) وماذا إن بقى الكورس؟ (يعود أفراد الكورس الذين بادروا بالانصراف إلى موقعهم السابق ويتجمدون هناك. يتأملهم يوسف وهو يقلِّب بصره فيهم)

رئيس الكورس لآخر يقف بجواره: بالذمة أتسمى هذا عملاً؟ ما من مسرحية أخرى غير هذه؟ إما أن نشتغل أو فليتركونا ننصرف لنرعى مصالحنا!

الآخر: ياريّس.. أنت تنظر للعملية بجد قوي.. نحن جئنا إل ى هنا كتهيؤات فحسب.. لامؤاخذة خيال مؤلف لا أكثر!

الرئيس: (بضيق ونرفزة) خيال أم غير خيال.. نحن نجري على لقمة خبزنا.. ولا يجوز أن يستدعينا على أساس أنه سيتهيأ له، ثم لا يتهيأ له! (يلوح بذراعه متبرمًا) وقتنا ليس مجانًا!

(يوسف يقرع المكتب بقبضته أو بدباسة ورق محتجًا على الحوار الدائر بين رئيس الكورس والمنشد لآخر، فيلتزمان الصمت. ينظر إلى الكورس. ثم يعلو بيده ويسقطها في الهواء كأنه يغامر بقرار ما، معطيًا بذلك – وكأنه مايسترو – إشارة بدء الأغنية. مع الأغنية قد نرى رقصة تعبيرية) هيا.. فلتكن أغنية افتتاحية..

الكورس:

حدوته يابكره ياجاي.. حدوته يابكره يا جاي

إحكي ياريس قول.. إحكي ياريس قول

يمكن ف حكايتك نفهم ليه؟ وازاي

يمكن ف حكايتك نلمس لون الفجر الجاي..

حدوته يابكره ياجاي

ونشوف الحب سنين بتطول

ويفتح زهره النادي ما لوش فصول

ونحاول مرة نهادي الناس.. ونحاول مرة نهادي الناس

حدوته يابكره ياجاي.. حدوته يابكره ياجاي!

يوسف: (مع وقفة اللحن الموسيقية يصفق مبهورًا بما سمعه) الله. يا سيدي.. لا..لا.. الغناء خطفًا هكذا لا ينفع! (يعطي إشارة تكرار الأغنية بيده) ثاني! (تعاد

الأغنية، ويوسف يندمج معها بحركات راقصة خفيفة. عند انتهاء الأغنية يجلس يوسف على الفور يكمل الكتابة. ما سنراه بعد ذلك هو الأحداث نفسها التي يكتبها يوسف مجسدة في الأماكن الشاغرة من المنصة)

رئيس الكورس: الليلة الحكاية عن شريفة وفوزي.. عاشقان شابان.. هو من "دنفيق الحاجر"، بلدنا، طول عمره فيها، لكن أين ولد؟ لا نعلم، ما أصله؟ أو ابن من؟ لا نعرف.. رباه عم السيد مع أولاده والسلام، البنت شريفة.. اسم على مسمى.. جميلة.. طباعها وأخلاقها مليحة.. بعد ما أبوها أعطاكم عمره، تحكَّم فيها وفي أرضها عمها الجارحي وابنه حلمي.. لا نريد أن نرهقكم بكثير الكلام وأنتم ضيوف علينا.. تفرجوا بأنفسكم على ما حصل.

(يتواري الكورس في ناحية أو يختفي، تظهر شريفة من ناحية وفوزي من ناحية أخرى. شريفة تتجه نحو فوزي في فستان أو جلباب ريفي، بسيطة جميلة دون مبالغة في جمالها، تقترب منه ملوحة بيدها)

فوزي (يتقدم ناحيتها ليمسك بيديها) هل يا تُرى الأخبار طيبة هذه المرة يا شريفة؟

شريفة: (يبدو على ملامحها الأسى) لا أدري ماذا أقول لك؟

فوزي: لا تقولي أي شيء.. أريد فقط أن تعلمي أنني مستعد لعمل أي شيء لأجلك..

شريفة: (ببسمة واهنة) أنا عارفة.. فقط أحب أن أسمع هذا الكلام منك..
(يجلسان) أتذكر ونحن صغار حين تشارط الأولاد معك أن تقفز لتركب القطار وهو يسير؟ وأنا الحمقاء قلت لك: لو أنك شاطر صحيح اقفز إلى القطار.. وفي غمضة عين وجدتك قد وثبت!

فوزي: لأجلك أنا أفعل ما هو أكثر من ذلك يا شريفة.. فقط أنا لا أفهم، لماذا يضعون العراقيل أمامنا هكذا؟ لماذا؟

شريفة: عمي يقول إنه لا يستطيع أن يتركني أتزوج من شخص لا نعرف من هو؟ يقول لو كانت حكاية إن فوزي طمعان في أرضك فقط لهان الأمر.. المشكلة أن أحدًا لا يعرف له.. (تتلجلج وتحجم عن نطق الكلمة)

فوزي: لا يعرف لي أصلاً.. أليس كذلك؟

شريفة: لا تزعل مني يا فوزي.. أنا فقط أحكي لك ما حدث..

فوزي: ومن قد أكون؟ عفريت؟ جني؟ ها أنا أمامك فمن أكون؟.. ثم لست أنا الذي يطمع في أرضك.. بل عمك الجارحي الذي وضع يده عليها واستمات لكي لا تفلت منه مع أنها أرض مالحة من قلة الماء والري.. مثل معظم أراضى بلدتنا..

شريفة: أنا عارفه.. لكن كلام عمي إننا لا ندري حتى إن كنت.. إن كنت (صمت).. ولا ندري حتى إن كان أصلك صعيدي أم بحراوي.. بدوي أم فلاح.. لأن..

فوزي: عارف.. لأن عم السيد الذي رباني مع عياله اختار لي اسمي.. لكن من غير أن يعرف هو نفسه ابن من أنا؟ من أين ظهرت؟ لكن هل يهم الماضي إلى هذه الدرجة؟ ألم يكشف حاضري كله عمن أكون؟

شريفة: لا تغضب مني يا فوزي.. فيما يخصني.. أقصد لو الأمر بيدي أنا.. أنت.. تعلم.. تعلم أليس كذلك؟

فوزي: (يطرق برأسه) لو الأمر بيدك.. ماذا كنت ستفعلين؟

شريفة: (مرتبكة) أفعل كل ما بوسعي، أنتظرك العمر كله.. لا أغمض عيني إلا على وجهك، ولا أغمض سمعي إلا على صوتك.. أنت.. وحدك..

فوزي: نعم. لكن عمك الجارحي على حق أيضًا.. أنا لا بد أن أهتدي إلى أصلي.. لا بد أن أعرف من أنا؟ كان عم السيد الذي رباني أكثر من والد لي.. لكن.. لا أحد يستطيع أن يحيا من دون أن يعلم من هو؟ إبن مين؟ كيف جاء إلى الدنيا؟ أجاء بغلطة أم بقصة حب؟ من امرأة عشقت رجلاً بكل جوارحها حتى حملت منه لكن أهلها رفضوا تزويجها منه، أم من امرأة منحلّة أنجبته ورمته على الطريق..

شريفة: (مقاطعة باستنكار) لا تقل هذا الكلام يا فوزي..

فوزي: ماذا أقول إذن؟

شريفة: قل كلامًا جميلاً يعطيني أملاً..

فوزي: لو قلت لك ما في قلبي ستقولين عني مجنون..

شريفة: وما في ذلك؟ مجنون لطيف أفضل من عاقل ثقيل الظل؟

يوسف: (يرفع القلم فيعتم مشهد شريفة وفوزي حتى يوارى البطلين، وتتسع رقعة الضوء فوق يوسف. ينظر إل ى الشباك في حجرته) ما زال أمامي ساعة زمن.. بعدها يغمر ضوء النهار المكان فيهرب الحلم.. (ينهض يذرع الغرفة ويفكر) الآن لدي عاشقان.. أحبا بعضهما البعض بقوة، مشكلة البنت شريفة أن عمها يريد أن يظل مستحوذًا على أرضها، مشكلة الولد فوزي أنه يريد أن يعرف من هو؟ ما أصله؟ (ينظر إلى شباك الحجرة) لا بد أن ألحق ما تبقى من وقت قبل طلوع الشمس.. (يقترب من النائم الذي يشخر) يا أخي ارحمني.. أصبتني بالصمم والعمى.. (ينظر إليه بغيظ) يا ترى كم حلقة تبقت من ذلك المسلسل السخيف الذي تلح به علي؟ (يتجه نحو الشباك ليفتحه قليلاً أو يحاول فلا ينجح. يستدير للنائم. ثم يجلس ثانية للكتابة وتخفت الإضاءة عند يوسف مع استمرار شعورنا بوجوده بينما يضيء المشهد في الناحية الأخرى لنرى فوزي جالسًا وحده ربما عند جسر أو شئ من هذا القبيل. يدخل حلمي ابن الجارحي بجلباب وطاقية ، في قبضته عصا غليظة ومعه اثنان من الفلاحين الشبان ومعهما عصي)

حلمي: السلام عليكم يا سي فوزي..

فوزي: (يقف وينتر التراب من على سرواله) وعليكم السلام ورحمة الله..

حلمي: ألا تظن أن الوقت قد حان لتترك الكلام الفارغ الذي تشغل به نفسك؟

فوزي: (بدهشة وترقب).. أي كلام هذا؟..

حلمي: أنت فاهم وأنا فاهم.. مفروض الشخص يكون عنده إحساس..

فوزي: (بغضب يندفع إلى ا لأمام قليلاً نحو حلمي، فيتقدم الاثنان الآخران بدورهما): ماذا تعنى بقولك إحساس؟ لم لا تتكلم بوضوح ياسي حلمي؟

حلمي: عندما يطلب الإنسان شيئًا، ويجيبه أصحاب الشيء: لاء ، المفروض أن يسكت ويضع لسانه داخل فمه ويترك الناس في حالها؟ أليس كذلك؟

فوزي: آه. الآن فهمت. وأنت إذن صاحب ذلك الشيء؟ هو من ضمن النخلات والأبقار التي تمتلكها، فيحق لك أن تقول بشأنه الكلمة الفاصلة بلى أو كلا؟ (بسخرية) أليس كذلك ياسي حلمي؟

حلمي: باختصار يا فوزي.. شريفة ابنة عمي.. ونحن لا نزوج بناتنا لمن لا أصل لهم.. لمن لا ندري من أين ظهروا؟ (بنظرة وعيد) ولا وقت لدينا لهذه الحواديث. السلام عليكم يا سي فوزي.

(ينصرف حلمي وفي أعقابه الاثنان الآخران)

فوزي: (ينهار جالسًا) صحيح.. حلمي نذل.. لكن كلامه صحيح.. للأسف.. حتى الأنذال يكونون على حق أحيانًا.. فلست أدري من أنا؟ من هم ا والداي؟.. لو أن الأمر وقف علي لكفاني أن عم السيد هو من رباني.. ورعاني.. وكان لي كأبي.. (لحظة صمت يفكر) ومع ذلك.. كنت أحيانًا وأنا أتناول الطعام وسط أولاده أستحي من أن أزاحم بيدي أيادي أولاده لأصل إلى طبق الفول.. هم كانوا يدفعون أيادي بعضهم البعض بثقة.. وأنا أشعر أني غريب.. أن هذا ليس من حقي.. حينها كنت أتمنى لو عرفت من هم ا والداي.. أصلي.. من أنا؟ (ينهض متأملاً نفسه، وبدهشة) ومن قد أكون؟ ها أنا! (يرفع ذراعه اليسرى إلى الأعلى) هذه ذراعي، وه اتان عيناي (يمسك بخديه) هذ ان خدّاي. من قد أكون؟ فوزي. فوزي! الذي نما ونشأ في "دنفيق الحاجر". وما الذي قد يكسبونه إن توصلوا إل ى أن أبي هو محمد عبد الرحيم أو سمير بطرس؟ أصلي بدوي، أو جنوبي، أو فلاح؟ ما الفارق؟ (صمت) ومع ذلك لا بد أن أعلم.. ليس فقط من أجل أن يصمتوا ويخرسوا.. ولكن من أجلي أنا أيضًا! (يتسلل ثعبان صغير من جوار شجرة، فيثب فوزي ويضرب الأرض بقدمه) هذه الأرض ستجن من العطش والبوار.. لم تعد تنبت سوى الأفاعي والأشواك..

(فتاة تمر مندفعة وهي تحرك طرحتها فوق رأسها يمينًا ويسارًا كعادة الفلاحين وقت الكوارث)

فوزي: (متطلعًا إليها) ماذا حدث؟ كفى الله الشر؟

الفتاة: (مولولة) بنت عم حسن.. البنت نعيمة.. الصغيرة.

فوزي: (مندفعًا نحو الفتاة) ما بها؟ ماذا جرى لها؟

الفتاة: (باكية وهي تكمل اندفاعها إلى الأمام) أعطتك عمرها، يا ربي! الصغيرة.. نعيمة.. أعطتك عمرها!

فوزي: (يضرب كفًا بكف متحسرًا) البلدة كلها تشرب من مياه عدة آبار، تطفح طينًا أسود، ثاني عيل يموت خلال شهرين.. ياحول الله يارب.

(يظلم المشهد السابق، وتقوى الإضاءة حيث حجرة يوسف. ولا بد أن يستغرق مشهد يوسف التالي وقتًا كافيًا من المخرج لتبديل المشهد الآخر هناك)

يوسف: (محدثا نفسه) لا تصل المياه النظيفة إلى "دنفيق الحاجر".. تتشقق الأرض ويصبح سطحها أبيض من الملح.. والناس يموتون.. فوزي مغرم بشريفة.. يحبها.. لكن لا بد لكي يتزوجها من أن يعرف من هو؟ (بِحيرة) ثم مَن هذه الفتاة التي مرت وهي تولول؟ هذه ليست من تأليفي! (ينظر حوله بشك) أيكون هناك شخص آخر يؤلف باسمي من دون إذني؟ (ينظر حوله ثم ينظر تحت المكتب باحثًا بتشكك عن شخص آخر) من يؤلف هناك؟! (يتراجع إلى الخلف قليلاً) اطلع من عندك، أقول لك. (صمت) لا أحد! ماشي.. (يهرش رأسه ويسجل شيئًا على الورق وهو يقول): دع الفتاة التي مرت كما هي داخل العمل.. ولأنشغل الآن بفوزي. فوزي ومشكلته..

(إعتام عند يوسف وهو جالس يواصل الكتابة – إضاءة علي الناحية الأخرى في وسط المسرح أو يمينه فنرى وقت المغرب صالة دار ريفية مفتوحة على شرفة كبيرة تطل بدورها على فراغ معتم قد يكون حقلاً. فوزي بالجلباب في الصالة يصب الشاي من إبريق لأصدقائه الأربعة: خالد، وسعيد، ومؤنس، وعلي. سعيد ومؤنس يلعبان النرد ويحتسيان الشاي. خالد يقلب صفحات مجلة دون اهتمام، بينما يكاد علي أن ينام على كرسي وهو يهش ذبابة من وقت لآخر)

صوت مذيعة من الراديو: (يمكن أن يكون تلفزيون حسب إمكانيات المخرج)

المذيعة: سيداتي، سادتي! نواصل معكم برنامجنا الثقافي "قضايا الريف"، ونذكركم بأن ضيفنا اليوم هو الدكتور طه النمر، من مركز الأبحاث، دكتور طه توقفنا قبل الفقرة الإعلانية عند كلامك عن البعد الأبس (تتلعثم) الأبس.. تيمي!

دكتور طه: (غاضبًا) الأبستيمي!

المذيعة: نعم. وبما أن الموضوع يهم قطاعات واسعة في الريف فهل ممكن توضيحه؟

دكتور طه: أنا بكلمات بسيطة أقول لأمهاتنا في الريف إن البعد الأبستيمي هو الجزء الكوني للظاهرة المتفردة المنبثق تاريخيًا من التيزيس THESIS والأنتى تيزيس ANTITHESIS وهذا البعد يأخذ منحاه السوسيولوجي على المستوي التحركي كما أشار فوداتوس بيرتون في كتابه العولمة نهاية العصر الرقمي. وهنا بالذات أتوجه بحديثي لأمهاتنا في الريف لكي ينتبهن أنه من دون ربط ذلك البعد جذريًا بظاهرة أل ALIENATION أي الاغتراب يصبح من الصعوبة بمكان بلوغ التحقق الإشكالي في المكانية الانتشائية. أؤكد لأمهاتنا في الريف مرة أخرى على هذا الجانب. (يشد البرنامج بلغة المثقفين غير المفهومة أسماع الجالسين فيتطلع بعضهم إلى بعض بعيون ملؤها الدهشة)

علي: ما هذا؟

فوزي: برنامج قضايا الريف. (علي يفرك عينيه وينصت باهتمام مستغربًا).

المذيعة: أعتقد أن أمهاتنا وأخواتنا كلهن يسمَعننا الان.. (رنين هاتف) معنا اتصال من طنطا.

صوت فلاحة: آلو..

المذيعة: نعم تفضلي. نسمعك.

الفلاحة: آلو..

المذيعة: تفضلي يا ست.. نسمعك.

الفلاحة: تسمعونني؟ بالله عليكم تسمعونني؟ طيب. أصل القصة أنني ركبت هاتفًا في البيت منذ عدة أيام، وكانت سماعته تصدر شوشرة، عامل التلفونات الذي أخذ منى خمسة جنيهات قال لي إن الشوشرة ستتلاشي خلال أيام.. وواضح أنها اختفت مادمتم تسمعونني.. الحمد لله! تسمعونني؟ بالله عليكم تسمعونني؟ بوضوح؟

المذيعة: نعم..

الفلاحة: إذن صدق الرجل في كلامه. (تخاطب شخصًا من الواضح أنه بجوارها) الشوشرة اختفت يا أبا محمود.. صدقًا.. الصوت واضح..

صوت رجل: إذن أنهي المكالمة وضعي السماعة. (ينقطع الاتصال)

المذيعة: انقطع الاتصال. لكن لا بأس.

علي مستفَزًا: ما هذا الهراء؟ جد لنا محطة أخرى..

(فوزي يبدل المحطة إن كانت إذاعة أو القناة إن كان تلفزيون، نسمع أو نرى أغنية أم كلثوم)

صوت أم كلثوم: لا تبخلوا من مائها على ظمي.. وأطعموا من خيرها كل فم.. لاتبخلوا من مائها على ظمي..

خالد: قليلاً ما يذيعون الآن مثل هذه الأغاني الجميلة..

(خالد يترك المجلة . ويغلق الاثنان الآخران النرد. عل ي يتطلع حوله بحثًا عن شيء يؤكل. فوزي شارد يفكر)

(يتكرر مقطع: لا تبخلوا من مائها)

فوزي: لا تبخلوا من مائها؟ كيف؟ واليوم توفيت نعيمة بنت عم حسن الصغيرة.. بسبب الماء الملوث..

علي: (بانفعال) هذا كله من غضب ربنا.. قلة الإيمان تؤدي إلى أكثر من ذلك.. بلدة مثل بلدتنا ليس فيها سوى جامع واحد.. و قد دعونا أكثر من مرة ، قلنا نبني جامعًا آخر حتى لو بجمع التبرعات والأموال من الأهالي.. لكن بلا جدوى..

صفوت: أية أموال هذه التي تريد أن تجمعها يا علي؟ من كثرة فلوس الفلاحين يعني؟!

مؤنس: ثم إن ما يحتاجه البيت يحرم على الجامع.. الناس لا يجدون قطرة ماء نظيفة يارجل..

صفوت: الماء النظيف يجري سلسبيلاً وراء الجبل.. إننا لا نحتاج إلا إلى نفق نحفره في قلب الجبل ليصل الماء إل ى البلدة.. وهذه عملية تحتاج إلى حكومة ونفقات..

سعيد: كم مرة قلت لكم.. أبحث لكم عن جهة أجنبية تمول المشروع.. الآن كل شيء يسير بالتمويل.. فورد فونديشن أو غيرها من المؤسسات.

مؤنس: هذه الجهات تمول ما ينفعها فقط.. الترويج لأفكار معينة، مشروعات سياسية، لكن قل لهم نريد تمويلاً لمحو أمية أو مشروع مائي أو صناعي،

يرفضون.. أنا شخصيًا أعرف أناسًا هبروا الكثير من التمويل من دون أن يفعلوا شيئًا ذا قيمة.. استقر المال في جيوبهم لا أكثر..

سعيد: وماذا سنخسر من المحاولة؟

مؤنس: ولم لا نحاول هنا في بلدنا؟ هل نحن قلة؟ المهم أن نكون يدًا واحدة.. معًا مصريين.. دون تمييز.. الدين لله والوطن للجميع.

علي: (مغتاظًا) أنت كبرت الموضوع قوي يا سي مؤنس.. نحن نتحدث عن قليل من المياه؟!

خالد: مؤنس محق.. كانت النفوس صافية ولم يكن هناك تمييز ولا غيره حين أقمنا السد العالي والصناعات الثقيلة..

علي: يا يارب العالمين! عدنا للتصنيع الثقيل ثانية! هل كل ذلك بسبب نقطة ماء؟!

فوزي: (سارحًا) ومع ذلك يمكن للإنسان أن يفعل شيئًا.. شيئًا ما..

علي: مضبوط.. يمكن للإنسان أن يعد إبريقًا من الشاي ، خاصة إذا كان النقاش عن التصنيع والوطن فلق رأسه..

سعيد: (ضاحكا بسخرية خفيفة) هذه القضايا انتهت من زم ان.. نحن الآن في عصر آخر.. تمامًا..

على: ألا تشبعون من هذا النقاش؟ اسقنا كوبًا من الشاي يا فوزي.. كوب شاي.. (فوزي سارحًا لا يسمع).. يانهار أسود.. يا فوزي؟ أين أنت؟

مؤنس: (لفوزي) الظاهر أنك مازلت مشغولاً بحكاية شريفة؟ مع أن البنات على قفا من يشيل!

على: (مقهقهًا) باستثناء هذا القفا، كلما أراد أن يشيل يقولون له: لاء!

سعيد: لو كنت مكانك لتركت حكاية شريفة فلا أشغل بالي لا بها ولا ب . "دنفيق الحاجر"! أهذه بلدة يا رجل؟ ثم إن الزواج الآن عن طريق الإنترنت، ولن تسألك فرنسية أو إيطالية عن أصلك وفصلك! المهم عندها ما تفعله الآن!

فوزي: نعم الإيطالية أو غيرها لن تسأل.. الإنسان عندهم هو حاضره.. هو عمله.. (بتردد) لكن أنا.. أنا لا بد أن أعرف أصلي.. لأجل نفسي.. أحيانًا أفكر.. حقًا.. من أنا؟

علي: (ضاحكًا) ماذا تعني بمن أنا؟ أنت فوزي ماجد وموحد بالله..

مؤنس: على فكرة يا ذكي.. فوزي ماجد اسم يصلح أن يكون مسيحيًا أيضًا!

(صفوت وسعيد يضحكان)

علي: بلى. لكن نحن نتمنى له الأحسن!

صفوت: يا جماعة ألم يحن وقت تناول العشاء؟

سعيد: ومع ذلك، لو أني كنت مكانك يا فوزي، لسررت كثيرًا، لديك فرصة قلما تتوفر لأحد، أن تكون ما تريده، وأن تحيا متحررًا من كافة العقد، ألا تسمع عن عصر العولمة؟ نحن في هذا العصر، العالم كله أصبح قرية صغيرة، وطن واحد للمال والأفكار والمعلومات.. وأنت مازلت تسأل سؤالاً بدائيًا: من أنا؟

صفوت: أنت مصري يافوزي.. قد لا تعرف والديك تحديدًا.. لكنك تشربت كل تاريخ مصر.. من أحمد عرابي حتى الآن..

مؤنس: ولماذا لا تعده مصريًا من أيام الفراعنة؟ هل بدأت مصر مع عرابي؟

على: يا أرحم الراحمين.. وثب علينا مؤنس بحكايات الفراعنة واللغة الهيروغليفية وعنخ آمون! العشاء.. لقمة نأكلها، وبالمرة نسد بها حنك مؤنس!

صفوت: اسمع يا فوزي.. تريد حديثًا جادًا؟ إذن دعني أسألك أليست شريفة متمسكة بك؟

فوزي: بلى.

مؤنس: طيب. هذه ورقة ضغط قوية على عمها الجارحي.

صفوت: كلام مؤنس معقول.. هل سيظل عمها الجارحي ممسكًا بها في داره لأجل قطعة أرض مالحة؟ إذهب إليه وقابله ثانية وثالثة حتى يستسلم.. فوزي: (مخاطبًا سعيد) وأنت.. هل بعت فعلاً قطعة الأرض التي كانت بحوزتكم؟

سعيد: (ملوِّحًا بيده) طبعًا يا عم.. وخلال يومين أرجع إلى القاهرة..

صفوت: ومن يدري؟ أنراك ثانية أم لا؟ ومتى؟

سعيد: عنواني لديكم.. من يأتيني أهلاً به وسهلاً.. لكن عنّي أنا لا أظن أني سآتي إلى "دنفيق الحاجر" خاصتكم.. شبعت منها.

صوت أم كلثوم: لا تبخلوا من مائها على ظمي..

(لحظة صمت. ينهض الجميع)

خالد: سأنصرف.. لا بد أن أقدم العزاء لعم حسين..

مؤنس: وأنا معك، فقط سأعرج أولاً على بيت حنا وسمير، ليرافقوني إلى هناك..

على: هيا.. لا شاي شربنا، ولا عشاء أكلنا، وهذا ما يناله المرء من رفقة أمثالكم.. السلام عليكم. (ينهض سعيد معهم. وينصرف الجميع مودعين بقولة "السلام عليكم" تاركين فوزي وحده)

فوزي: (يرسل بصره إل ى الفراغ في حيرة. بقعة ضوء على فوزي وحده في مونولوج) عندما يتيّم الإنسان بمعشوقة يسألونه: من أنت؟ ما أصلك؟ من أين ظهرت؟ لم جئت؟ ما الذي تبتغيه؟ شريفة.. في عنيي أحلى بنت في الدنيا.. كانت وما زالت أجملهن منذ الصغر إلى الآن، من الآن حتى نهاية عمري..

(أطفال يجددون بأغنية ذاكرة الطفولة عند فوزي وقصة حبه لشريفة)

أغنية:

حط الحمام.. شال الحمام..

قلبي انخطف.. من غير كلام..

شريفة تجري.. للأمام..

على حصان.. من غير لجام..

وتاخدني اللعبة لحد ما نتعب

أروح دارنا وأحاول أنام.

حط الحمام.. شال الحمام

بدر السلام.. ع الكون وأنا..

ما أقدرش أنام..

شريفة تجري.. للأمام

على حصان.. من غير لجام..

(إظلام تدريجي مع نهاية الأغنية حيث فوزي والأطفال. وإضاءة تدريجية حيث يوسف)

يوسف: ماذا بعد؟ المفروض لاحقًا في تسلسل قصة فوزي وشريفة أن (جسد المؤلف النائم يتقلب).. مابك؟ ألستَ نائمًا وفي أفضل حالة؟ أكرمنى بنومك وواصل إذن..

جسد المؤلف النائم: (يزووم ويطقطق بشفتيه كأنه في طريقه إلى الاستيقاظ، ويستحسن أن يتحدث بصوت يوسف نفسه) ياه.. نمت طويلاً.. ممم..

يوسف: لاء.. أنا في عرضك.. أكمل نومك ولو لساعتين أخريين فقط.. ساعتين أنهي فيهما عملاً جميلاً واحدًا..

جسد المؤلف النائم: (يرفع رأسه قليلاً ملفوفًا في الغطاء متلفتًا حوله) ماالذي يحدث؟ أين نحن؟ لست أفهم شيئًا.. أهذا واقع أم حلم؟

يوسف: أنت في الواقع.. وأنا في الحلم..

الجسد: (متثائبًا) طيب.. الواقع إذن أني لا بد أن أستيقظ لكي أنهي كتابة "جدار الخطر".. لا تؤاخذني يا عزيزي (يحاول نفض الغطاء عن بدنه)

يوسف: كن جميلاً وأكمل نومك.. ساعتين فقط.. أنا في عز الشغل..

جسد المؤلف النائم: طيب.. ممكن أدخل الحمام بسرعة؟.. مزنوق يا أخي.. مزنوق في الواقع وليس في الحلم!

يوسف: أهذا هو الواقع عندك؟ لأجل خاطري أجِّل هذه المسألة.. لأجل خاطري.. نحن صديقان من زمن بعيد.. ساعتين فقط ، وبعدهما افعل كل ما تريد (ينظر إلى الشباك بقلق).. أكمل نومك ، ربنا يهديك.. ودع "جدار الخطر" حتى الغد (يجلس قربه ويربت على رأسه ويغني له أغاني المهد لعله أن ينام) ننه هو.. يا حبيبة.. يا حبيبة.. ننه هو.. (الجسد يرتخي ويصدر شخيرًا)..

جسد المؤلف النائم: (يغمغم نصف نائم) للناس عوض.. وأنا عوضين.. النص عندي بقى نصين..

يوسف: (مفزوعًا يضاعف من هدهدته) ننه هو..

جسد المؤلف النائم: (الكلمات متقطعة بفواصل زمنية) عجمية.. عصابة.. عقيد..

يوسف: ننه.. هووه.. يا حبيبة.. يا حبيبة..

جسد المؤلف النائم: (يزووم و يشخر ويمط الكلمات) صراع بين القلب والعقل.. عذاب بين الـ . ضـمـ . يـ ـر والقـ ا – ن. ـون.. مم.

يوسف: هووه.. سوسة سوسة كف عروسة.. (اللحن المميز لحدوته بلون الشاي يأتي ضعيفًا كخلفية)

يوسف: (ينظر إلى الشباك ويرى الضوء يشتد. يتجه إلى المكتب) لا بد من الإسراع قبل أن يعم نور النهار وأصبح مرغمًا على الاستيقاظ، ويتبخر الحلم الجميل من روحي (يشرع في الكتابة فيضاء الجانب الأيمن لنرى شريفة وفوزي يتمشيان إما قرب سور مدرسة ، أو في المكان السابق ، أو مباشرة تحت الجبل يفترشان الأرض ويتناولان طعامًا ما)

شريفة: لن تصدق ما سأحكيه لك يا فوزي.. اليوم في المدرسة داخل حجرة الدراسة رفعت بنت صغيرة إصبعها تطلب الإذن بالكلام، ثم سألتني: لماذا يبدو الممثلون في الأفلام كأنهم يأكلون بعضهم البعض؟

فوزي: (مندهشا) كيف هذا؟ من يأكل من؟ كيف؟

شريفة: أتعرف ما الذي كانت تقصده؟

فوزي: ماذا؟

شريفة: خيل إليها أن ممثلي دور العشاق في الأفلام حين يتبادلون القبلات إنما يأكلون بعضهم البعض؟!

فوزي: يا إلهي؟! وأنت ماذا قلت لها؟

شريفة: قلت لها؟ ماذا أقول لها؟ صحت فيها قائلة هذه أشياء ستفهمينها حين تكبرين! كنت أصيح فيها وأنا أكاد أن أموت من الضحك بيني وبين نفسي.. خيال الأطفال عجيب للغاية..

فوزي: لكن لم لم توضحي لها أنهم عشاق؟ وأن الحب أجمل ما في الدنيا..

شريفة: صحيح يا فوزي؟

فوزي: طبعا.. أنا مثلاً ليس لي حياة من غيرك.. وجهك آخر ما أغمض عليه عيني، وصوتك آخر ما أغمض عليه أذني، وحبك آخر ما أغمض عليه قلبي..

شريفة: ياه.. إلى هذه الدرجة؟

فوزي: وأكثر من هذا كله..

شريفة: يعني أنت مستعد للقيام بأي شيء لأجلي؟

فوزي: جربي واطلبي أي شيء.

شريفة: (بعد صمت وتفكير) طيب أنا.. أنا قلت لعمي الجارحي إني مستعدة أن أسجل له كل ملكيتي من الأرض بإسمه.. شرط أن يسمح لنا بالزواج..

فوزي: (باهتمام) وبم أجابك؟

شريفة: (بيأس) ثار في وجهي هو وحلمي إبنه، أسمعنى موشحًا طويلاً: وهل مثلي ينظر إلى الأرض.. أيًا كانت؟ أية أرض؟ وهل أنا أمانع بسبب الأرض؟ أنت مثل ابنتي وأكثر من ابنة.. أنا من رباك ورعاك بعد أبيك.. وتقولين أرض؟

فوزي: (يلقي بحجر كان بيده على الأرض) عم الجارحي لن يرضى أبدا بزواجنا.. هو يريدك إما أن تكوني لحلمي إبنه، أو أن تبقى هكذا، بحيث لا تخرج الأرض في الحالتين من يده.. الموت أهون عنده من التخلي عن الطين.. يخيل له إن الملكية هي التي تجعل له قيمة في البلدة..

شريفة: (تمسك يديه بين يديها وبحزم) إسمع يا فوزي.. أنا فكرت كثيرًا.. قلَّبت كل شيء في راسي الشهرين الماضيين.. طوال الوقت كنت أفكر.. وانتهى بي تفكيري إلى شيء واحد.. شيء واحد فقط، ليس لنا حياة في هذه البلدة، ليس لنا سوى أن نتركها.. بلاد الله واسعة.. الرب هنا والرب هناك..

فوزي: إلى أين نذهب؟

شريفة: إلى القاهرة..

فوزي: لكن أنت تعرفين عمك وإبنه.. هما مستعدان لقضاء ما تبقى من العمر في مطاردتنا..

شريفة: مصر كبيرة.. أين يمكن لهما أن يجدانا؟

فوزي: مصر كبيرة مضبوط.. لكنها ضيقة على الفقير.. بكم سنستأجر مسكنًا هناك؟ وكم ستكلفنا الحياة؟ وأين سنعمل؟

شريفة: (تقف بغضب ويقف فوزي بعدها) إذن تسرك حالنا هذه؟ يرضيك أن نبقى هكذا طول عمرنا؟ لا أفهم ما الذي يعجبك في "دنفيق الحاجر" هذه؟ أرضها المالحة التي لا نلحق بقطف زهرة منها؟ أم الصغار الذين يموتون كل شهر؟ أم الجبل الضخم يحجب الماء ويرمى علينا ظله كالتهاويل والخرافات؟ ألم تقل لتوك إنك مستعد لأن تفعل أي شيء لأجلي؟ ألم تقل؟ جاهر بأنك لا تحبني.. أو أنك تخشى أهلى..

فوزي: (كالمستسلم لمنطقها) يحبك الإنسان فلا يعرف الخوف.. صدقيني.. حبك شجاعة.. لكن دعينا أولاً نحاول بالعقل وبهدوء.. أعطني فرصة لأقابل عم الجارحي مرة أخرى.. (صمت) ثم..

شريفة: (تقاطعه كالباكية الصارخة) تقصد مرة خامسة.. أو سابعة.. أو مئة..

فوزي: هذه المرة سأذهب للقائه مع رجال البلد.. إذا وافق كان به.. وإذا حكم رأيه.. نمشي من البلد.. وساعتها رب هنا رب هناك..

شريفة: (بفرح واضطراب) يارب.. يارب.. نفسي تنتهي هذه القصة يا فوزي.. (تضع رأسها على صدره وهي تتلفت حولها خشية أن يراها أحد)

فوزي: أنت تعلمين أني لأجلك أصنع أي شيء، وكل شيء.. وأجتاز المستحيل.

(من بعيد اللحن المميز الأساسي: حدوتة بلون الشاي. إظلام حيث يقف فوزي وشريفة، وانتقال إلى حيث يوسف)

يوسف: (يفرك يديه سعيدًا) الشباب في الغرام حتى الثمالة.... الله ينوِر يا يوسف.. الحكاية تحتاج إل ى سيجارة.. (يمسك بعلبة سجائر فارغة من أمامه يطويها ويرميها. ينظر إلى جسد المؤلف النائم) هل أجد معك سيجارة؟ (صمت) يا باي.. أنت بخيل بخل.. (يتجه إليه ويقلب جيوبه ويخرج منه أوراقًا يقرأها ويرميها) ماهذا؟ فاتورة كهرباء؟ وهذا؟ إنذار من شركة التكييف؟ وهذا؟ يخرب عقلك! خطاب من فاصوليا.. الصغيرة اللذيذة؟ يالئيم.. تخون بامية وتدعي

الاستقامة؟ (يفتش جيبًا آخر) هاهي علبة السجائر.. (يخرج العلبة ويخرج منها سيجارة يشعلها ويعود للانهماك في الكتابة).

(يضاء المشهد في الناحية الأخرى ونرى حوش دار فلاحين وأرائك. فوزي جالس ومعه فلاحان من القرية هما خليفة والمصيلحي، وثالث عجوز خرف هو عم عبد الحكم الذي يلازم الأرض بالقرب منهم معتمدًا بذقنه على عصا، أعمش يرى بصعوبة، وسمعه ثقيل، بلغ سن الخرف. على الأريكة المقابلة جلس الجارحي عم شريفة و بجواره إبنه حلمي. تمر خادمة على الجميع بصينية عليها أقداح شاي . حبذا لو مرت دجاجة ، فإذا عطلت المشهد يمكن للجارحي أن يستدعي الخادمة لتخرجها من المشهد)

خليفة: (وهو يحتسي الشاي) ما قولك يا عم الجارحي؟

الجارحي: أقول لا إله إلا الله.

مصيلحي: محمد رسول الله.

خليفة: أسنقضي الليلة كلها في لا إله إلا الله؟ (للجارحي) قل كلمة يا حاج.. فوزي لا يعيبه شيء.. وقصده شريف.. وطرق بيتكم من بابه..

حلمي: المسألة ليست بابه أو شباكه..

عبد الحكم العجوز: (لمصيلحي) خير؟ فيم المشكلة؟

مصيلحي: انتظر يا عم عبد الحكم..

عبد الحكم العجوز: (بزعيق للجارحي) سمعتهم يقولون باب وشباك.. إن كان لديك شيء كهذا يحتاج تصليح نرسل للولد مسعد النجار، يأتي حالاً..

الجارحي: أكرمنا بسكوتك ياعبد الحكم..

عبد الحكم: أنت حر.. لكن صراحة يعني.. الولد مسعد عمره ما قال لاء. وشغله تمام..

فوزي: فيم المشكلة يا عم الجارحي؟

الجارحي: يا ابني سبق وقلنا هذا الكلام بدل المرة عشر مرات.. أنت شاب طيب.. لكن الحق لا يغضب أحدًا..

عبد الحكم: (تقريبًا يحدث نفسه) في الدنيا كلها لا تجد نجارًا مثل مسعد.. ويرضى بأقل القليل.. تعطيه خمسة.. ماشي.. عشرة ماشي.. الشهامة كلها في مسعد..

خليفة: (للجارحي) ياعم الجارحي أرحنا وأرح نفسك وقلها صراحة أنك لا تنوي أن تحرر شريفة من قعدة البيت عندك؟

الجارحي: أنا لا أمانع في مصلحة البنت أبدًا.. إذا جاءها ابن الحلال فلا وجه للاعتراض..

حلمي: (بنزفرة) أسنظل نعيد ما قلناه؟ ونكرر نفس الكلام؟

مصيلحي: لا إله إلا الله..

عم عبد الحكم: (مبربشًا في وجه مصيلحي) ألم يكن مسعد هو الذي صنع الموبيليا الخاصة بأمك؟ بذمتك شغله مضبوط أم لا؟

خليفة: بصراحة يا جارحي عيب أن نروح ونأتي إليك خمس مرات وكل مرة تردنا..

الجارحي: كل شيء بالخناق إلا الزواج بالاتفاق..

خليفة: (يقف غاضبًا) يعني تقبل أن يذبل شباب البنت من أجل قطعة أرض مالحة؟

حلمي: (يصرخ ملوحًا بسبابته) انتبه لكلامك يا مصيلحي..

فوزي: (يهدئ خليفة) بالراحة يا عم خليفة..

عبد الحكم: (لنفسه كمن يتذكر) الولد مسعد هذا كان عمل لا مؤاخذة كنيف لخالتي أم بدر.. يقعد عليه عشر رجال ولا يتقلقل.. ثم لونه بلون له العجب.. الله يرحمك يا أم بدر..

الجارحي: (بنرفزة لعبد الحكم) بم تخرِّف يارجل؟ (ولحلمي) إخرج أنت يا حلمي.. أنا قادر على الكلام وحدي.. ولا يلزمنى أحد ليساعدني.. إخرج.. الله لا يسيئك..

(حلمي يغادر المكان بعصبية)

عبد الحكم: (في أثره) إذا صادفك مسعد في طريقك فابعث به إلينا ليحل هذا المشكل سواء أكان الباب أم الشباك..

الجارحي: يا حلمي (يعود حلمي أدراجه بعد أن أوشك على الاختفاء. الجارحي يشير إلى عبد الحكم) خذ هذا الرجل المعتوه من هنا..

(فوزي يعاون عبد الحكم على النهوض ويساعده على الخروج مع حلمي)

عبد الحكم: (في طريقه للخروج) ما له مسعد؟ أيوجد أطيب من مسعد؟ هاتوا صنايعي من البندر يخدعكم.. ويأخذ بدل الجنية عشرة.. الله يرحمك يا أم بدر! (يخرج مع حلمي)

الجارحي: الكلام الذي صدر منك عيب يا خليفة..

الفلاح 2: لا إله إلا الله..

فوزي: لا تغضب يا عم الجارحي.

خليفة: نحن نعرف بعضنا البعض من زمان يا حاج الجارحي .. ليس هذا بأول أيام تعارفنا..

الجارحي: ماذا تقصد بهذا الكلام؟

خليفة: أقصد أن المسألة لا تستأهل كل ذلك..

الجارحي: أتعود إلى أحاديثك الغليظة ثانية يا خليفة؟

خليفة: وهل قول الحق يعد الآن غلظة في الحديث؟ أنت لا ترى أمام عينيك الأرض المشققة التي لا تطرح عودًا أخضر؟ ماذا ستفعل بها؟

الجارحي: (بزعيق) تؤلمك حال البلد والأرض إلى هذه الدرجة يا سي خليفة؟

خليفة: ولم لا تؤلمني.. أليست بلدتنا؟

الجارحي: (بحزم مفاجئ) طيب أنا موافق.. فليتزوج فوزي من شريفة!

مصيلحي: (ناهضًا غير مصدق) لا إله إلا الله.

فوزي: (ينهض هو الآخر من الفرحة بعينين مذهولتين) موافق؟ أيعقل هذا؟ حقًا موافق يا عم الجارحي؟

الجارحي: (يرده بإشارة من يده ليجلس ثانية) بلى. لكنَّ لي شرطاً لإتمام الزواج..

فوزي: كل ما تأمر به أفعله..

الجارحي: ما دامت قلوبكم على أرض شريفة وعلى البلدة.. فاحفر لها نفقًا في الجبل تصل المياه عبره إلى البلدة..

فوزي: (مذهولا) نفق؟..

الجارحي: أليس أنتم من كان منذ دقائق مضت يولول وينوح على حال البلد؟! النفق مهر شريفة.. إن كنت تريدها.. والماء خير سيعم على الكل..

فوزي: (بحزم) وأنا قبلت الشرط.

خليفة: (لفوزي بإشفاق) ما الذي تقوله يا إبني؟ أتدري بم ا تقبل؟ أتدري لم يشترط عليك شيئًا كهذا؟

فوزي: أنا لأجل شريفة أحفر مئة نفق وأفني عمري في الصخر..

الجارحي: أنت لا تعرف أن الصخر المتراكم هناك لا يسمح إلا لشخص واحد بالعمل؟ شخص واحد فقط يسعه أن يمر ويعمل؟

فوزي: وأنا ملتزم بكلامي..

الجارحي: ساعتها شريفة تصبح حلالاً عليك!

خليفة: أي شرط هذا يا جارحي؟ أتريد منه أن يقوم بما لم يستطعه الناس كلهم؟

الجارحي: يريدها؟ يحبها؟ يشتهى الزواج منها؟ فليحيِ لها الأرض إذن..

عجوز 1: إحياء الأرض ليس هدفك يا جارحي.. أنت فقط تسعى إل ى تعجيزه.. بودك أن تحطمه.. ولا شيء سوى ذلك..

الجارحي: (ينهض ليغادر المكان) لقد قلت كل ما عندي .. وتبقى كلمتكم. (يتحرك ليخرج)

مصيلحي: لا إله إلا الله.

(ينفرد الجارحي بحلمي إبنه في ركن قبل مغادرته المكان ويتهامسان)

حلمي: كيف توافق على الزواج ولو حتى بشرط؟

الجارحي: ربنا يحييني ويحييك ياحلمي إلى أن نرى النفق المزعوم!

(يخرج الجارحي وإبنه)

خليفة: (لفوزي) يا ابني هذا مستحيل.. أمر كهذا يحتاج إل ى عشرة وربما عشرين عامًا.. أتدرك على أي شيء وافقت؟

فوزي: لو أن الجارحي اشترط عل يَّ أي شيء لوافقت . لو قال لي إرم بنفسك في البحر.. في النار.. لقبلت.. ما يهمنى الآن أنه وافق.. وأنا قابل بشرطه.. المهم أن تغدو شريفة من نصيبي..

خليفة: هذا يحتاج لعمر آخر يا فوزي.. أتضمن ما الذي قد يحدث خلال كل سنوات العمل الطويلة؟ أتدري كيف ستمضى مجريات الأمور؟

فوزي: ما أعلمه أني أثق فقط في محبتي لشريفة.. وسأحفر النفق، وسأمده خلال الصخر، وليل نهار سأعمل كالوحش، ودع البلدة كلها تعرف الخبر.

خليفة: (بأسى) لو أن الممر الصخري الضيق هناك يسمح بمرور أكثر من شخص لجئت أحفر معك يا ولدي.

فوزي: ربنا يكرمك ياعم خليفة.. أنت قمت بما عليك وزيادة.. هذه معركتي أنا والجبل!

خليفة: صدق من قال إن الحب يصنع المعجزات يا ولدي. إذا احتجت أي شيء، أي شيء، فأنت تعرف الطريق إل ى داري. (وهو في طريقه للخروج) والله زمان يا بلد!

(فوزي وحده. تدخل شريفة. تمضي نحو فوزي، يمسك بيدها)

شريفة: لماذا وافقت على شرطه؟ هذا موت.. موت يافوزي!

فوزي: لأجلك أنت ياشريفة.. أنت سألتني: هل أنت مستعد لفعل أي شيء من أجلي؟ وهذا هو جوابي: نعم. أي شيء، ولو كان مصارعة الذئاب والوحوش. قلبي الذي قبل الشرط، وسيجري حناني وشوقي إليك ليفتت الجبل.

شريفة: (بإحساس بالفجيعة) لكن.. السنوات ستمضى طويلة وبطيئة.. وتلتهم شبابنا..

فوزي: أنا واثق أنك سوف تنتظريني.. وأنك ستظلين معي..

شريفة: أنا أنتظر.. وسأنتظر.. لكن سنواتنا لن تنتظر..

وكم سنبقى هكذا؟ أنا هنا.. وأنت في الجبل؟ يا إلهي! (تمسك رأسها بين يديها متألمة)

فوزي: كل ما نعرفه الآن، كل ما في أيدينا، هو هذا الحب الذي يربط بيننا.. ولأجله ينبغي أن نفعل كل شيء..

(شريفة تنظر إليه كأنما تودعه، وتخرج مهرولة. فوزي وحده. فوزي يتابعها ببصره، ثم يذرع المكان مفكرًا. مترددًا. ثم يتوقف)

فوزي: وقد تكون شريفة محقة؟!.. كيف قبلت بأن أضيع شبابي وشبابها في الجبل؟ كيف وافقت الجارحي على هذا الجنون؟

(تدخل مجموعة صغيرة من الفلاحين والأمهات حاملات أطفالهن)

فلاحة 1: (بانبهار) وهل صحيح يا فوزي ما سمعناه؟ أحقا أنك ستحفر نفقاً للماء كي يصل إلينا؟

طفل: (يجذب فوزي من ذراعه) يا عم فوزي.. صحيح ما يقولونه من أن المياه ستصلنا غدًا؟ يا عم فوزي؟

فلاح عجوز: نهارنا أبيض.. أتستطيع أن تواجه الجبل وحدك؟ إنه بحاجة لمئة رجل؟ والله نهارنا أبيض..

فلاحة 2: وهل فوزي قليل؟ فوزي سيد الرجال.. نذر أنذره أمام الكل أن آتيك كل يوم بالعشاء حتى عندك.. (تطلق زغروطه)

الطفل: أحقًا ستكون قادرًا على الصخر يا عم فوزي؟

فوزي: (كالمأخوذ) بالطبع.. ولم لا؟ لم لا أقدر؟

الطفل: أنت بطل يا عم فوزي.. (يشب ناحية فوزي ليقبله، تساعده أمه وترفعه لأعلى فيقبل فوزي في وجنته ويقبله فوزي)..

(زغاريط وفلاحون وأطفال يأتون ويلتفون حول فوزي يربتون على كتفه)

فوزي: (هامسًا لنفسه) أتستطيع ذلك حقا يا فوزي؟ بلى. ولم لا أستطيع؟

(يظهر كورس المنشدين مقسمًا إلى مجموعتين صغيرتين والفلاحون من حول الكورس. فوزي واقفًا ينصت مأخوذًا كالمسحور)

الكورس (أغنية)

مجموعة 1:

فوزي بيعرق.. لاجْل شريفة

لأجل ما تشرب ميه نضيفة

لجل القلب أبو رعشة عفيفة

يضم حبيبته في نني عنيه!

(مجموعة 2):

فوزي دراعه عفية.. قوية

يهد الصخرة.. تسيل الميه

فوزي دراعه جعله الفـاس

لاجْل ما يسقي.. لكل الناس

(إظلام حيث فوزي. إضاءة خفيفة على يوسف الذي يدخن بشراهة ويكتب كأنه محموم ويلقي بالأوراق بسرعة إل ى الأرض ورقة بعد أخرى. إظلام تدريجي عند يوسف وإضاءة في الجانب الآخر لنرى شريفة وحدها في غرفة بدار ريفية، شباك مفتوح، كنبة، ومقاعد. شريفة جالسة إل ى منضدة ، منكبَّة على تصحيح دفاتر تلاميذ. الواضح أنها كبرت قليلاً. تفترش الأرض بجوارها وتطرز مفرشاً . سعدية وهي بنت ريفية صغيرة في نحو العشرين تعمل في بيت الجارحي)

سعدية: (ترفع المفرش إلى الأعلى نحو شريفة) بصي يا ست شريفة؟ انظري؟ بذمتك أليس جميلاً؟

شريفة: (ترفع رأسها ملقية بنظرة سريعة على المفرش، تتنهد وبصوت فارقته البهجة والحيوية) تطرزينه لمن؟

سعدية: (تنهض مقتربة منها) يا خبر أبيض.. لأجلك طبعًا ياست الستات!! يوم أن نفرح بك أنت وسي فوزي.. البلدة كلها تنتظر بشوق هذا اليوم..

شريفة: (تنهض وتقف قرب الشباك عاقدة ذراعيها على صدرها) تنتظر ماذا؟

سعدية: العرس..

شريفة: (بحركة غير واعية تتحسس شعر رأسها) البلد تنتظر العرس؟.. أم تنتظر المجرى الذي ستمر منه المياه إل ى أراضيها؟.. فيشرب عيال البلدة ماء نظيفًا ويورق الزهر والزرع..

سعدية: (تزووم) ممم.. أهذا كلام؟ حقيقة أنه لا كلام للناس غير مجرى المياه داخل الجبل.. يترقبون انتفاحه على الأرض كأنه النور والبشارة.. لكن وكتاب الله لو تعلمين كم يحبونك!!.. وكم يتمنون أن يحل يوم عرسك اليوم قبل الغد..

شريفة: (متسائلة بتهكم مرير خفيف) الغد؟.. هذا الغد انقضى منذ خمسة أعوام يا سعدية.. وفوزي ما زال كل يوم وكل ساعة يحفر في بطن الجبل.. كأنما من هذه البطن سيخرج إبنه!

سعدية: (بلهفة) والناس يدعون له أن يكرمه الله بإتمام عمله.. الناس كلهم.. صغير وكبير..

شريفة: يشق الصخر ليل نهار على ضوء المشاعل..

سعدية: والناس يقولون: يارب.. سهل له.. ويسر له كل صعب..

شريفة: يظل أحيانًا ثلاثة أيام وأربعة أيام بلياليها يعمل بدون طعام أو نوم أو شراب.. لقد جن بالجبل، وأغرم به.

سعدية: (بحلم ورجاء) ما هذا المزاح.. أي جبل؟ كل ما يفعله سي فوزي إنما لأنه يعشقك.. لو أنك سمعت الحكايات التي يرويها الناس عنه؟ والله ولا حكايات أبو زيد الهلالي..

شريفة: (ملتفتة إليها وبحدة) لكن أنا أكبر.. يومًا بعد يوم.. سنة بعد سنة.. يجف عودي.. خمس سنوات يتبدد عطري.. ولا أحد يعلم كم من الوقت ما زال عليّ أن أنتظر؟ عشر سنين.. عشرين؟ (تتحسس وجهها وجسدها بحركة خفيفة جدًا) أنا أذبل وتصفر أوراقي..

سعدية: (بأمل) معاذ الله.. من هذه التي تذبل؟ وكتاب الله بنات البلد كلها تقول يا سعدها ياحظها من تلقى عاشقا كهذا.. مغرمًا بها إلى هذا الحد.. ولا في الأفلام..

(تدخل أم أحمد امرأة عجوز تحمل قفة بها طعام. تلتفت الاثنتان إليها)

سعدية: خير يا أم أحمد..

المرأة: هذه فضلة خيرك لقمة بسيطة لسي فوزي.. (تضع القفة على الأرض) فطير وجبن قريش (لشريفة) والنبي ياست شريفة أول طلوع للجبل عند سي فوزي خذي معك الطعام.. أعطيه له.. وقولي له أم أحمد تدعو لك بالصحة وطول العمر.. (تشرع في الانصراف)

شريفة: (تهز رأسها) حاضر..

سعدية: (بفرح) شفت؟ كل يوم الناس يحملون له الطعام ويرسلون له التحايا.. أتصدقين؟ أول أمس محمود السيلي جارنا أنجبت له زوجته صبيًا.. أطلق عليه اسم فوزي! وأقسم لو جاءته صبية فسيسميها شريفة! (تلاحظ شرود شريفة) ما بك؟ يبدو أنك غير سعيدة؟ خير؟

شريفة: (بحزن تقريبًا) سعيدة.. سعيدة.. لكن قلبي تشقق من العطش.. كالأرض.. حب الناس شيء جميل، لكني أريد أن أشعر برأسه على صدري.. أن أحس بيده الثقيلة على كتفي، أريد أن أقضى معه يومين كاملين فقط أنظر في عينيه وجبينه.. وحدنا.. لا جبل، ولا بشر، ولا شيء.. وحدنا..

سعدية: هانت.. هانت وكتاب الله..

شريفة: (تتطلع بعيدًا. تمسد كتفها بيدها وتصبح أقرب إلى البكاء والانهيار) أغلقي الشباك ياسعدية.. أنا أشعر بالبرد.. برد قوي.. (تنهار. وتخفت الإضاءة فوقها وتشتد عند يوسف)

يوسف: (يخاطب نفسه) كم أشفق على شريفة..

جسد المؤلف: (يتقلب في رقدته ويتساءل) ومن تكون شريفة هذه؟

يوسف: (ينهره) اسكت أنت.. لا دخل لك في هذا..

الجسد: (بضيق) أكلما فتحت فمي تنهرني؟ إل ى متى تستمر هذه المعاملة؟ لاحظ أنه لم يعد بوسعي النوم أكثر من ذلك! وثمة عمل ينتظرني.. لا بد أن أنتهى من الحلقات الثلاث المتبقية في المسلسل لأقبض أول دفعة مالية.. هذا أو يحيلونني إلى ميزانية العام القادم.. (يعتدل جالسًا ملفوفًا بالغطاء بحيث لا نرى وجهه) إنهض واترك المكتب.. دعني أعمل..

يوسف: (دون أن ينظر إليه) أعطني خمس دقائق..

الجسد: (يهجم على المكتب والأوراق) ما أنت؟ ملصوق بغراء على المقعد؟ سيطلع النهار عليَّ ويهاجمنى الدائنون من كل ناحية.. (يحاول زحزحة يوسف من على المقعد)

الجسد: طيب.. كم من الوقت يلزمك لتنهي ما في يدك؟

يوسف: شوية صغيرة..

الجسد: فإذا هل الدائنون علينا؟

يوسف: لا دخل لك.. فقط اجلس صامتًا هناك (يعود يوسف للكتابة. الجسد يتجه إلى المكتبة ويسحب منها كتابًا ويجلس يتصفحه)

يوسف: (جالسًا إلى المكتب وطرف القلم بين أسنانه) أيعقل أن أترك شريفة الجميلة تذبل وتذوي؟.. هي؟ هي تريد إنسانًا من لحم ودم تحبه ويحبها ، يضع رأسه على وسادة بجوار رأسها، تتجول معه في الليالي المقمرة.. تريد إنسانًا لا بطلاً.. وفوزي؟ فوزي أيضًا يتوق لمعشوقة حية من لحم ودم.. بم ستنفعه حكايات الناس عنه وأهازيج البطولة؟ (يقف ويذرع أرض الغرفة متحيرًا بغضب) والناس؟.. الناس هم الذين يريدون له أن يكون هكذا.. هم الذين يدفعون فوزي وشريفة إل ى الأسطورة.. لكي تخضر البلدة.. وتورق الأزهار.. الناس مستعدون للتضحية بالاثنين.. لأنهم يعلمون تمام العلم أنه ما من شيء يحدث بدون تضحية! يا إلهي!

(إظلام عند يوسف وإضاءة على الجانب الآخر مع اللحن المميز من بعيد كخلفية ضعيفة. المشهد ساحة أمام جامع أو دار في بيت أحد الفلاحين. عدد من الفلاحين جالسين يشربون الشاي وقت المغرب)

محمد: أتصدق بالله؟ والله يارجل يوم الجمعة الماضي جاءت أسرة من قرية جيهنة.. أتصدق؟.. وصلت بلدتنا، يقولون إنهم سمعوا في قريتهم حكاية فوزي والجبل.. جاؤوا يريدون فقط أن بصافحوه.. مهما كان "دنفيق الحاجر" صارت لها شنة ورنة!

سويلم: وبعد؟

محمد: طلعت معهم إلى أعلى.. وشاهدوه هناك، واقفاً كالأسد، جسمه كله يتصبب عرقًا.. أخذوا يتطلعون إليه، وهم لا يصدقون أن فوزي يحفر ويهدم الصخر منذ عشر سنوات.. لأجل عيون شريفة..

جاد الله: صراحة لا أفهم.. بم سيعود عليه كل هذا؟ لا تؤاخذني.. لكن ما يفعله – مهما كان – قلة عقل!

محمد: لا.. لا قلة عقل ولا يحزنون.. الحب يا صاحبي يعمل أكثر من ذلك.. أتصدق بالله؟ أنا في شبابي حين كنت أشاغل فواكه أم أولادي، قبل الزواج يعني، وكانت المسألة ما زالت مجرد كلام ونظرات.. يعني شيء في علم الغيب.. كانت إذا طلبت مني أي شيء، ولو لبن العصفور، أحضره بأي شكل.. (يضحك) مرة قالت لي إن نفسها تشتهي الفطير.. ساعتها لم تكن هناك ولا فطيرة واحدة في البلد.. النسوان كانت باعت الفطير كله في سوق الجمعة..

جادالله: (باشمئناط) ما هذه الحكايات السمجة التي ترويها؟ أي فطير وأي هباب؟ تريد أن تعمل حالك أبو زيد الهلالي بفطيرة؟.. قال فطيرة قال.. يا رجل اختشِ.. (يلتفت إليه) ويا تُرى ألم تطلب منك كوز ذرة مشوي؟ (يلوح بيده للآخر في قرف) إشرب شايك إشرب.. قال فطير قال!

محمد: الله؟! وما الفارق ياسي جاد الله؟ أنا عشقت فواكه بالضبط مثلما يعشق فوزي شريفة، وربك علام القلوب.. لا أفهم لماذا يغضبك كلامي؟

(ينهض واقفًا غاضبًا ينفض جلبابه)

سويلم: اقعد يا رجل ، عيب عليك.. أتغضب من جاد الله وهو كأخيك؟ اقعد.. نحن لم نشرب سوى دور واحد من الشاي. إقعد.. (تظهر من داخل الدار امرأة تحمل صينية عليها أقداح شاي)

المرأة: هل أنت منصرف يا محمد؟

سويلم: زعلان.. أصلاً جاد الله قال له (يستغرق في الضحك).. حكاياتك سمجة.. زعل..

المرأة: اقعد يا رجل.. أنت في بيتك..حلفتك بالله تقعد..

(محمد يجلس ثانية وعلي وجهه علامات الغضب)

سويلم: أصل الكلام كان عن فوزي وشريفة.. وبدأ محمد يحكي عن زواجه..

المرأة: (تقاطع سويلم) ربنا على المفتري والظالم الجارحي عم شريفة.. البنت وردة يا عيني.. كبرت وانخطف لونها.. كأنما شاخت.. هجرتها الضحكة الجميلة والبسمة الحلوة..

محمد: وما الذي ناله الجارحي من الظلم؟.. ها هو إبنه الوحيد حلمي وقد مات فلم يشعر به أحد.. مات من الماء الملوث مثله مثل غيره من الفقراء..

جاد الله: كان الله في عونك يا عم الجارحي.. مسكين والله.. شاب شعر رأسه مرة واحدة..

المرأة: جزاء ما فعله بشريفة.. ربك يمهل ولا يهمل..

سويلم: (مقاطعًا إياها) أهذا كلام يقال يا ولية؟ تشمتين في الناس ومصائبهم؟ إجري.. إقعدي داخل الدار أحسن..

محمد: ومع ذلك، أرجع فأقول، لولا الجارحي لم يكن فوزي ليحفر النفق للبلدة كلها.. ولم تكن قصته لتجري على كل لسان قبلي وبحري..

جاد الله: وهذا كل همك؟ أن تجري الحكاية على كل لسان؟ لكن بم تنتهي لا يهم؟! والنبي تسكت يا محمد وأنت أصلك تحب الحكايات السخيفة..

محمد: (ينهض نافضًا جلبابه بغضب) ألم أقل لكم؟.. كلامي كالحجر على قلب جاد الله..

(إظلام حيث مشهد الفلاحين. إضاءة على يوسف مستمر في الكتابة. الجسد ممددًا على الأريكة أو السرير يطالع الكتاب)

صوت من الميكرفون : جئتك هذه المرة لكن بأمر قضائي: الدفع أو الحجز.

جسد المؤلف: (منتفضًا وهو يرمي الكتاب جانبًا) يالها من ليلة سوداء! هجم الدائنون عليَّ. (ليوسف) اتركني أكتب ولو قليلاً..

يوسف: (دون أن ينظر إليه) هس..

(يدخل رجل بجلباب، يوسف يكتب، الرجل يفرك سبابته وإبهامه إشارة إلى المال، الجسد يلطم علامة على أنه مفلس، الرجل يتطلع فيما حوله، وينقض على المكتبة ينتزع ما فيها من كتب ويخرج. يوسف منهمك في عمله. والجسد يحرك رأسه كمن يولول. إضاءة الجانب الآخر. منظر رمزي بشكل أو بآخر يجسد الجبل، فوزي – في سروال ضيق وقميص يبرز عضلات يديه– في بطن الجبل داخل كهف صغير وبيده مطرقة ضخمة، حوله أبسط أدوات مستلزمات العيش، حصير مفروش على الأرض، موقد كيروسين، أقداح، أطباق، مشاعل، أمامه كتل صخرية صغيرة منهارة من كفاحه ضدها. الكبر، والتقدم في السن، واضحان على فوزي بعد عشر سنوات من العمل الشاق، فوداه أبيضان، شعر رأسه أطول قليلاً مما تركناه، يجب أن نشعر بكتلة صخرية هائلة أمامه. فوزي يمسح عرق جبينه بيده ويقرر أن يستريح قليلاً. ما زال ممسكا بالمطرقة يخاطب الصخرة)

فوزي: (فاردًا ذراعيه حتى نهايتهما ووجهه إلى الصخرة يخاطبها) أتعبت يا صخرة؟ (بلهجة تقريرية) أتعبت من معولي؟.. لكن ما زلت لا تريدين أن تستسلمي؟.. دعينا نعترف لبعضنا البعض.. أنا أيضا تعبت.. عشر سنوات يصارع كل منا الآخر.. عشر سنوات آكل يوم قطعة منك.. وتأكلين كل يوم قطعة من عمري.. أتنشدين الراحة قليلاً؟ (بلهجة باسمة) أنا أيضًا أتوق للراحة.. (يستدير ناحية الجمهور. يهز المطرقة الضخمة في يده ويخاطبها) أنت أيضا نال منك الإرهاق؟ من كثرة ما سخنت فوق الحجر.. من كثرة الشرر الذي اشتعل في حافتك.. تعبت من لحم الصخرة ومني.. (يضع المطرقة على الأرض باعتزاز ويربت عليها) استريحي.. (يفترش الأرض ويجلس ليأكل لقمة)

(بعد لحظات يدخل رجل في عباءة وعقال كالبدو يحمل بندقية تتدلى على كتفه، هو غريب ليس من أهل القرية. يتلفت حوله مستغربًا)

الغريب: السلام عليكم..

فوزي: (يرفع رأسه) وعليكم السلام..

الغريب: أنت فوزي؟ .. فوزي ماجد؟ أليس كذلك؟

فوزي: (يمد إليه يده بترحيب ويصافحه) بلى. تفضل استرح.

الغريب: صارت كفك ثقيلة من العمل الشاق.. غدت كالحديد والنحاس..

فوزي: تفضل.. كل لقمة معي..

الغريب: (يجلس) كثر خيرك، جئتك من بعيد بشأن موضوع يعنيك، ولا بد أن أعود إلى بلدتي ومعي رد منك..

فوزي: خيرًا.. تكلم..

الغريب: حكايتك مع الجبل هي السبب في أن انتشار اسمك حتى وصل عندنا.. فمن قائل إنك عاشق متيَم، ومن قائل إن أمنيتك الوحيدة أن يجري الماء النظيف إلى الأرض والناس.. وحكايات أخرى كثيرة.. حتى صار الناس يسألون عنك، من أنت؟ وعلمنا ولا تؤاخذني أنك كنت تبحث من زمن عن أبيك وعن أصلك..

فوزي: مضبوط..

الغريب: لن أطيل عليك ، لكن رجلاً متقدمًا في السن وكبير المقام ظهر، وأبدى اهتمامًا خاصًا بحكايتك.. وقد يكون والدك..

فوزي: والدي؟

الغريب: بلى. لكنه أراد أن يستوثق من بعض التفاصيل الصغيرة.. (صمت) هو من أرسلني لكي أصطحبك إليه لتوضيح ما غمض..

فوزي: (يقف سارحًا مع أفكاره) والدي؟

الغريب: لكل نبتة جذر.. ولكل طير عش..

فوزي: حقًا أردت طويلاً أن أعرف من أنا؟ وعذبني ذلك طويلاً.. لكن الآن.. خلاص..

الغريب: لو لم يكن الرجل كبيرًا في السن ولا يتحمل مشقة السفر لجاء إليك بنفسه.. وهناك أشياء لا يمكن لغيره أن يحدثك فيها..

فوزي: ليست هذه هي القضية.. أنا لست عاتبا عليه.. قد يكون والدي فعلاً، وقد لا يكون، ليست هذه هي المسألة.. أبلغه سلامي، وقل له إني أدعو له بالصحة وطول العمر.. لكن أنا خلاص، هنا في بطن الجبل عرفت من أنا..

الغريب: عرفت من أنت؟ كيف؟

فوزي: هذا الصخر جعلني أدرك أن الإنسان لا يعرف نفسه سوى في الحاضر.. فيما يفعله.. وليس في الماضي..

الغريب: لكن يا ولدي..

فوزي: أنت قمت بما عليك وزيادة.. مشكورًا..

الغريب: (يظل واقفًا لحظات لا يدري أينصرف أم لا) طيب يا ابني.. السلام عليكم.. (يلتفت قبل أن ينصرف) فاتني أن أنقل لك تحايا كل الناس من بلدتنا..

فوزي: الله يسلمك ويسلمهم.. (مبتسمًا قليلاً كالمعتذر فاتحًا ذراعيه إشارة إلى صعوبة الظروف المحيطة) لا تؤاخذني.. لم أضايفك بشيء؟ (يلوح له بيده) مع السلامة..

الغريب: (منصرفاً) الله يسلمك.

(يجلس فوزي من جديد، يمسك ذقنه بيده مفكرًا وحده في صمت للحظات. يسمع صوت دبيب خطوات لشخص يدخل. تظهر شريفة وقد كبرت في السن، ممسكة بباقة زهر وفي وجهها فرحة طفولية).

فوزي: (يقف مبهورًا بمرآها) شريفة؟ (يندفع الاثنان إل ى عناق، ثم يتباعدان، ويتأمل كل منهما الآخر، ويعودان للعناق ثم ينفصلان)

شريفة: فوزي.. فوزي (تتسع ابتسامتها)

فوزي: عمك سمح لك بالمجيء؟ (شريفة تهز رأسها بصمت أن نعم) لا أصدق أنني أراك أمامي (تبكي شريفة بصمت وهي ترتجف، فيحيطها فوزي بذراعيه) ما بك؟ لمَ تبكين؟

شريفة: من الفرح (على وجه فوزي تعبير من لا يفهم) سمح لنا عمي بالزواج.. أخيرًا..

فوزي: حقًا؟ حقًا سمح؟ بعد عشر سنوات؟ (تهز شريفة رأسها أن نعم) ما الذي طرأ عليه؟

شريفة: تبدل عمي كثيرًا بعد وفاة حلمي.. وكبر، وشاخ.. وقد دعاني بعد دفن حلمي، وظل يقبل رأسي ويدي ويبكي ويهتف سامحيني يا إبنتي.. (تهز باقة الزهر في يدها ضاحكة) على أية حال، كل ذلك أصبح من الماضي الآن.. لم يعد شيء يقف أمامنا..

فوزي: (يشد على ذراعها) نحن لبعضنا البعض طول عمرنا.. هكذا كنا، وهكذا سنكون.. من اليوم الأول الذي لمحتك فيه.. تعالي (يجذبها برفق) سأريك ماذا أنجزت.. إنظري (يشير إلى المطرقة) هذه خاصتي!

شريفة: (تجرب رفع المطرقة) يا إلهي. ثقيلة جدًا.

فوزي: وخلف هذه الصخرة ماء سلسبيل نقي.. (يضع أذنه على الصخرة) ضعي أذنك.. اسمعي..

شريفة: (تلصق أذنها بالصخرة) لا أسمع شيئًا..

فوزي: لأنك قادمة من البلدة.. الضوضاء ما زالت في سمعك.. أما أنا فإنني في الليل حين يعم الصمت أتنصت على صوت المياه وأتخيلها حين تجري مندفعة فتنبثق الورود في كل ناحية وتخضر الحقول..

شريفة: لكن يبدو عليك الإرهاق الشديد يافوزي..

فوزي: هذا فقط لأني أعمل كثيرًا.. ولم أن ل من النوم ما يكفي خلال اليومين الماضيين..

شريفة: (بتوجس) وأنا.. كيف أبدو؟ مرهقة؟ خطت السنوات كلماتها على جبيني؟

فوزي: بل أنت كالقمر.. ما من فتاة في الكون أجمل منك..

شريفة: إذن أنت لا ترى التجاعيد التي حفرتها السنوات العشر.. حرفًا حرفًا.. كل ليلة.. (تجذبه من ذراعه) لقد انقضى كل ذلك، فهيّا بنا.. لا أود أن أنتظر هنا ولو دقيقة أخرى..

فوزي: (هامدًا) شريفة..

شريفة: ما بك؟ تتكلم بنبرة منطفئة؟

فوزي: أنا أحفر الصخر من زمن، زمن طويل، ووراء ذلك الصخر كانت عيناك تلمعان دومًا، تتدفقان بالمحبة، والحنان..

شريفة: (تستشعر خطرًا) ماذا تقصد؟

فوزي: حين تتدفق المياه لن يمرض أهل البلدة أكثر من ذلك، ولن يقف الآباء والأمهات أمام دورهم يبكون أطفالهم الصغار..

شريفة: (بين الذهول والفزع) أنت لا تريد أن تأتي معي؟ أليس كذلك؟ لا تريد أن نكون لبعضنا البعض؟ أنا كبرت؟ أليس كذلك؟ (تتحسس وجهها) قلها.. هرمت؟ قل إن عمرنا تبدد سدى..

فوزي: كلا يا شريفة.. لكن لم يبق إلا القليل.. انظري بنفسك.. مسافة صغيرة.. الناس يتوافدون على المكان كل يوم.. يهتفون بي: إجمد.. كن صلبًا.. نحن نلهج باسمك ليل نهار.. بقيت فقط هذه الصخرة الضخمة العنيدة.. وبعدها.. بعدها..

شريفة: (تغطي وجهها بيديها وبصوت باك) وكم من العمر ستلتهمه هذه الصخرة؟ سنة؟ عشر سنوات أخرى؟ عشرين؟ (صارخة) لم لا تنطق؟ (تهز رأسها) لأنك لا تدري..

فوزي: أرجوك.. لا تبكي.. أنا بحاجة لأن أراك باسمة..

شريفة: لم تعد بحاجة إليَّ.. و لم تعد تحبني..

فوزي: لا تقولي ذلك أبدًا.. أنت بداخلي دائمًا، تند ى روحي بعينيك، وكلما تطايرت قطعة من الصخر أراك أمامي تبتسمين وتقولين : هانَتْ.. إجمد.. كن صلبًا..

شريفة: ستكون هذه هي النهاية إذا لم ترافقني الآن، إذا لم تضع يدك في يدي، (برجاء حار) أرجوك.. إن كنت تحبني.. إن كنت تريد أن نلحق ولو بيومين من عمرنا.. من شبابنا.. (تنهار) أرجوك يا فوزي..

فوزي: أرجوك.. لم يبق إلا القليل..

شريفة: أصبح الجبل حياتك يا فوزي.. وستبقى معه حتى تجف ورودي ويذبل عودي.. (صمت) ضمني إليك أرجوك.. مرة واحدة (تندفع إلى صدره. يحتضنها، ثم تفلت من ذراعيه مندفعة إلى الخارج)

فوزي: (هاتفًا في أعقابها) شريفة.. شريفة..

(إعتام. بعد قليل ينهض فوزي متثاقلاً. يذرع أرض المكان. ثم يقترب من المطرقة، ثم يبتعد، ثم يمسك بالمطرقة ويعاود ضرب الصخرة ببطء ثم بتسارع وقوة، وعلى إيقاع ضرباته تتردد الأغنية التالية)

الكورس (أغنية):

مجموعة 1:

فوزي بيعرق.. لاجْل شريــفة

لأجل ما تشرب ميه نضيفة

لاجْل القلب أبو رعشة عفيفــة

يضم حبيبته في نني عنيــه!

مجموعة 2:

فوزي دراعه عفية.. قويـة

يهد الصخرة.. تسيل الميـه

فوزي دراعه جعله الفــاس

لاجْل ما يسقي.. كل النـاس

(انتقال بالضوء إلى يوسف، بدن المؤلف جالسًا خلف يوسف وقد أسند وجنته إلى قبضة يده في وضع اليائس)

يوسف: (جالسًا أمام الأوراق محدثًا نفسه وهو يرجع بظهره إلى الوراء. جميل.. جميل.. فوزي في الجبل.. يخوض معركته.. يجد نفسه في الصراع مع الحاضر..

وشريفة؟ لماذا أراها يائسة وقلبها مبلل بالدموع؟ طيب.. ماذا بعد؟ ماذا بعد؟.
حقًا.. الكتابة هي الأخرى عمل شاق.. وكثيرًا ما تعترض الصخور طريق الكاتب.. ماذا بعد؟ ماذا سيحدث لاحقًا؟

(إعتام عند يوسف، وانتقال إلى فوزي في الجبل وقد افترش الأرض يأكل لقمة. نسمع دبيب خُطا ويدخل خالد الصديق القديم لفوزي وقد بدا عليه الكِبر هو الآخر)

فوزي: (وجهه يتهلل عند رؤية خالد) خالد؟

خالد: أكنت تعتقد أني سأنساك؟ (يتعانقان بحرارة)

فوزي: معقول؟ خمس سنوات لم أرك؟

خالد: ومن كان يصدق أنك قد تبقى هنا عشرة أعوام؟

فوزي: كيف الحال؟ اشتقت إليك جدًا.. احك لي عن أخبارك وأخبار علي ومؤنس وسعيد..

خالد: طيب دعنا نجلس؟

فوزي: (مرتبكًا) لا مؤاخذة.. (يجلسان)

خالد: علي يا سيدي سافر إلى أفغانستان، وبعدها انقطعت أخباره.. قال البعض إنه توفي هناك، وقال آخرون إنه سافر إلى أمريكا أو السعودية.. مؤنس كما هو، متشبث بحكايات الفراعنة، وبالمناسبة كان سيأتي معي، لكن ظرفًا طارئًا منعه، فسبقته إليك..

فوزي: ربما عطلته ندوة أو محاضرة.. نعم، مؤنس لا يتبدل.. أراه مرة في السنة فيكرر لي نفس الكلام..

خالد: أما عن سعيد فقد أصبح شخصية ذات شأن في عالم الصحافة والإعلام بفضل مشاريع صغيرة تعتمد على تمويل من الخارج، فلم يعد لديه وقت لشيء آخر.. العولمة ابتلعت كل وقته.. وأنا كما ترى.. لا جديد.. المهم أني ما زلت آتي لأطمئن عليك..

فوزي: (يربت على كتفه) أنا أيضًا أشتاق لجلساتك وأحاديثنا.. وأسعد حين أراك..

خالد: نعم.. عشرة أعوام في مكان كهذا ليست بالقليل.

فوزي: لا.. ليست بالقليل..

خالد: لكن.. (صمت) لم يجدّ جديد بالنسبة لشريفة؟

فوزي: (يهز رأسه) كلا.. للأسف..

خالد: نسيتها أم ماذا؟

فوزي: أنا؟ (باستنكار) أنساها؟! أنسى نفسي ولا أنسى شريفة لحظة..

خالد: أسأل لأن.. أقصد لِمَ لمْ تقم بمحاولة أخرى بعدما توفي ابن عمها حلمي، وهزت الصدمة والده الجارحي وغيرته كثيرًا.. كانت وما زالت أمامك فرصة طيبة؟

فوزي: أعرف أن هذا السؤال يشغلك، ويشغل آخرين،

والآن دعني أسألك: أتظن أني لا أريد أن أنعم بحياتي مع شريفة وبحبي لها؟

خالد: (بنبرة تساؤل) تريد ولا شك..

فوزي: وإذن؟

خالد: أنا الذي أستفسر منك لا أنت.. إن كنت تريد فلم لم تقم بالخطوة اللازمة؟

فوزي: كان ذلك ممكنًا.. وربما كان سهلاً.. وسهلاً جدًا لكن قبل أن يشرع الفلاحون في التوافد عليَّ.. وزيارتي ومعهم أطفالهم.. وهم يحملون لي الطعام، والماء، والشاي، وهم يتطلعون إلى الصخر بفضول ويسألونني بأمل: متى تنتهي؟ كان ذلك ممكنًا قبل أن تشيع الأهازيج التي تتغنى بما أفعله.. قبل أن أسمع دعوات الأمهات: "ربنا ينصرك. إجمد، تحمَّل، أكمل".. والآن لم يبق إلا القليل.. فهل أترك كل ذلك؟

خالد: لكن.. شريفة؟ ماذا عن شريفة؟. دعني أقل لك شيئًا يا فوزي، وأنت أدري بمدى اعتزازي بك، لقد مرت سنوات طويلة، تغير الناس خلالها، وتغير كل شيء.

فوزي: ماذا تقصد؟

خالد: أقصد أن دورك أن تفتح الطريق، لكن المسيرة يقوم بها الناس، دورك أن تغرس البذرة، لكنك لا تنمو عوضًا عن الشجرة، لا بد للناس أن يصلوا إلى المياه العذبة بأياديهم، لأن ما يخلقونه بعرقهم لا ينتزعه أحد منهم..

فوزي: وهل أعوق أحدًا؟

خالد: كلا. لقد كتبت النغمة الأولى ولا بد الآن للحناجر الهادرة أن ترعد بالنشيد لكي يبقى.. ويعيش.. لكي يكون نشيدهم.. لكي يدافعوا عنه إذا ما حاول أحد أن يفسده، أو يزوِّره، أو يبدِّله..

فوزي: ماذا يعني كل هذا؟

خالد: يعني أن على أهل البلدة أن يشاركوا في حفر النفق، ليس فقط لكي تستريح أنت، وتنعم بحبك مع شريفة، ولكن لأن ذلك ضروري للناس أيضًا..

فوزي: لكنهم لزموا الصمت حينما شرعت وحدى في ذلك.. بل ولامَنى بعضُهم، وسألني آخرون كيف تقبل بكل تلك المشقة؟

خالد: كانوا يظنون المعجزة أمرًا مستحيلاً.. حتى أثبتَّ لهم العكس.. لقد جئتك لأخبرك أنني التقيت بشباب البلدة، وأنهم رتّبوا جدولاً للعمل، واحدًا بعد الآخر سيأتون، وإذا شئت يمكن للعمل أن يمضى تحت إشرافك.. شرط أن تستريح، وأن نحتفل بعقد قرانك ونسعد بك وبشريفة..

فوزي: (مترددًا) أتظن ذلك؟

خالد: بل أثق بهذا ثقتي بك، وبالجبل، وببلدتنا.

(ينهض خالد، وينهض معه فوزي بتردد. يلقي نظرة على المطرقة، وعلى المكان حوله. يتجه نحو المطرقة يرفعها)

فوزي: (يقبِّل المطرقة) في الشرر الذي كان يتطاير منك وجدت نفسي وعرفت من أنا.. اضربي بقوة.. حين إن لم أكن هنا.. اضربي بقوة.. لأجلي ولأجل الناس.

(يخرج الاثنان. وتسمع من الخارج أصوات زغاريط وأغاني. إعتام المشهد، وانتقال إلى يوسف في حجرته. ما زال بدن المؤلف جالسًا وعليه علامات الإحباط واليأس)

يوسف: أخيرًا.. كتبت عملاً كانت نفسي تتوق إليه.. أخيرًا.. ياه..

بدن المؤلف: أنهيت عملك؟ سعيد بتعطيلي ووقف أحوالي؟ (ينهض من جلسته) تفضل واترك المكان لأكمل مشاهد مسلسل الخطر..

يوسف: بقِيَ لي مشهد واحد فقط.. العرس.. فرحة اكتمال المحبة.. دقيقة واحدة..

بدن المؤلف: (ملوحًا بسبابته في وجه يوسف) ولا ثانية.. أتفهم؟.. انهض وانصرف ولا ترجع إلى هنا مرة أخرى..

يوسف: (ينهض غاضبًا) أتطردني؟ من بيتي ومن حجرة مكتبي؟

بدن المؤلف: وأطرد أباك وأمك، ما دمت تعطلني وتخرب بيتي..

يوسف: هذا بيتي أيها الوغد.. وسأدافع عن حقوقي كاملة..

بدن المؤلف: تفضل يا حبيبي ولا تُرِني وجهك مرّة ثانية.. فالبيت بيت من يدفع الأقساط والفواتير والإيجار وغير ذلك.. أنت تحلم، والأحلام لا تسدد الديون..

يوسف: فهل أغدو متشردًا؟

بدن المؤلف: بوسعك أن تسكن سحابة.. أو قلب بكر لم يختبر الدنيا.. أو منامًا جميلاً.. لا يلزمك الواقع، فعش في الخيال..

يوسف: (بصوت منكسر) طيِّب ، دعني أكمل المشهد الأخير.. عرس فوزي وشريفة وأنصرف.

بدن المؤلف: (يجلس إل ى المكتب) انتهت المهزلة.. أُخرج.. (بدن المؤلف محدثًا نفسه وهو يكتب) جدار الخـ...طـ...ر! الحلقة الثامنة. عجمية وحدها في الصحراء!

يوسف: إلهي يسقط عليك جدار خطر! أنت مؤلف حثالة!

بدن المؤلف: أنت كاتب درجة تاسعة.. لا تساوي مليمًا ممسوحًا!

يوسف: يا مقرف.. أتظن أنك ستعطلني؟ ليس بالحتم أن أكتب ذلك المشهد، إنه معروف، عليَّ فقط أن أذهب بنفسي وأحضر العرس.. خيالاً مع الخيالات الجميلة.. وعش أنت للفاصوليا، ومعدتك، والفن الهابط.. (بدن المؤلف يلوح له بيده دون اهتمام ويواصل الكتابة. يوسف يجتاز المنطقة من حجرة المؤلف إل ى المكان الذي شهدنا فيه الأحداث، فيجد هناك فوزي وشريفة والفلاحين، يقف بينهم، ويصفق، وبينما يعتم المكان عند المؤلف، نسمع أغنية العرس بقوة، مع رقصة شعبية)

أغنية الكورس:

حدوته يابكره ياجاي.. حدوته يابكره ياجاي

إحكي ياريس قول.. إحكي ياريس قول

يمكن ف حكايتك نفهم ليه؟ وإزاي

يمكن ف حكايتك نلمس لون الفجر الجاي..

حدوته يابكره ياجاي

ونشوف الحب سنين بتطول

ويفتح زهره النادي

ما لوش فصول

ونحاول مرة نهادي الناس..

ونحاول مرة نهادي الناس

حدوته يابكره ياجاي..

حدوته يابكره ياجاي!

ستار

الكاتب

د. أحمد الخميسي

قاص وكاتب صحفي. مواليد القاهرة 1948. دكتوراه في الأدب الروسي جامعة موسكو عام 1992. عضو نقابة الصحفيين واتحاد كتاب مصر. عمل في الصحافة بدءًا من عام 1964. ظهرت قصصه القصيرة في العام ذاته في المجلات المصرية. قدمه الكاتب الكبير يوسف إدريس لمجلة الكاتب المصرية عام 1967.

* عمل أثناء وجوده للدراسة في روسيا مراسلاً صحفيًا لجريدة الاتحاد الإماراتية وإذاعة دولة الإمارات من 1989 حتى 1998، ثم من القاهرة مراسلاً لمجلة الآداب البيروتية ثلاث سنوات من 2006 حتى 2009.

* كرمه اتحاد الأدباء العرب لدوره في ترجمة الأدب الروسي إلى اللغة العربية. كرمه اتحاد الكتاب الروس، ومجلة ديوان العرب.

* حاز جائزة "نبيل طعمة" السورية عن مسرحيته "الجبل" عام 2011

* جائزة ساويرس عن مجموعته القصصية "كناري" كأفضل مجموعة بين كبار الأدباء لعام 2011.

* يكتب في الصحافة المصرية والعربية بانتظام .

أعماله:

القصصية:

1. "الأحلام، الطيور، الكرنفال" مجموعة قصصية. الهيئة المصرية. 1967 مجموعة بالاشتراك مع أحمد هاشم الشريف ومحمود يونس
2. "قطعة ليل" مجموعة قصصية. دار ميريت بالقاهرة يوليو 2004. وصدرت منه طبعة ثانية عن كتب خان.
3. "كناري" مجموعة قصصية مؤلفة. كتاب اليوم أخبار اليوم ديسمبر 2010 . حازت على جائزة ساويرس فرع كبار الكتاب كأفضل مجموعة قصصية لعام 2011
4. "رأس الديك الأحمر". مجموعة قصصية مؤلفة. كتب خان . القاهرة . ديسمبر . 2012
5. "الأجيال الثلاثة" مجموعة قصصية آنا أحمد الخميسى . أحمد الخميسي . عبد الرحمن الخميسي . دار كيان . القاهرة . يناير .2015

6- "أنا وأنت " مجموعة قصصية 2015 دار كيان – القاهرة

الترجمة:

1. "معجم المصطلحات الأدبية" ترجمة عن الروسية عام 1984
2. "المسألة اليهودية" للأديب العالمي دوستويفسكي . مجلة أدب ونقد . العدد رقم 69 . مايو 1991، وأعادت مجلة "زرقاء اليمامة" عام 1996 نشر نفس الترجمة، ثم تضمنها كتابه "أوراق روسية".
3. "كان بكاؤك في الحلم مريرا" قصص مترجمة عن الروسية . دار المستقبل . 1985 .
4. "قصص وقصائد للأطفال" ترجمة . اتحاد الكتاب العرب دمشق عام 1998 .
5. "نجيب محفوظ في مرايا الاستشراق" ترجمة وإعداد . دار الثقافة . 1989 . وصدرت منه طبعة ثانية عن المجلس الأعلى للثقافة.
6. "أسرار المباحثات العراقية السوفيتية في أزمة الخليج" . تقديم وترجمة. 1991 . مكتبة مدبولي.
7. "نساء الكرملين" . مكتبة مدبولي . 1997 .
8. "رائحة الخبز" . قصص مترجمة . هيئة قصور الثقافة . 1999.
9. "لقاء عابر" قصص روسية مترجمة . كتاب اليوم الأخبار. فبراير 2014

مسرحية:

1. "الجبل" مسرحية . هيئة قصور الثقافة . 2011. فازت بجائزة نبيل طعمة السورية عام 2011

سينمائية:

1. حوار فيلم "عائلات محترمة" عام 1968

2- حوار فيلم "زهرة البنفسج" 1972

دراسات :

1. "موسكو تعرف الدموع" دراسات . كتاب الأهالي . القاهرة 1991 .
2. "الصعود إلى الجبال الشيشانية" . كتاب الاتحاد . دولة الإمارات 1995
3. "الباب المغلق بين الأقباط والمسلمين" . دار الهلالي القاهرة . 2008
4. "عيون التحرير في الأدب والسياسة" . 2011 . دار كيان . القاهرة
5. "أوراق روسية" . مقالات . كتاب اليوم الأخبار . مايو 2013

. **إيميل:** ahmadalkhamisi2012@gmail.com